شرح

كتاب كشف الشبهات

لشيخ الإسلام ا لدد

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله تعالى

الشرح

لفضيلة الشيخ

الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

المقدمة

التعريف بالمؤلف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فهذه رسالة كشف الشبهات للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - .

وقبل أن ندخل في موضوع الرسالة نتكلم عن المؤلف والتعريف به من أجل أن يكون عند طالب العلم معرفة بذا المؤلف وطريقته في دعوته ؛ لأن هذا من الأمور المهمة في معرفة الأئمة والدعاة إلى الله ، ومعرفة نشأتم ودعوتم ؛ من أجل أن يسير طلاب العلم على نهجهم ، ويقتبسوا من سيرتم ، ويقتدوا بم .

فهو الشيخ الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف التميمي النجدي ولد - رحمه الله - في بلدة العيينة [1] وهي قرية في شمال الرياض ، وكانت محل أسرته .

نشأ في بيت علم : فأبوه كان القاضي في البلد ، وجده الشيخ سليمان كان هو المفتي والمرجع للعلماء ، وأعمامه كلهم علماء ، فنشأ في بيت علم .

ودرس على يد أبيه عبد الوهاب وعلى أعمامه منذ صغره ، فقد حفظ القرآن الكريم قبل أن يبلغ سن العاشرة ، فاشتغل في طلب العلم وحفظ القرآن على أبيه ، وقرأ كتب التفسير والحديث حتى برع في العلم وهو صغير وأعجب أبوه والعلماء من حوله بذكائه ونبوغه ، وكان يناقش في المسائل العلمية حتى أنم استفادوا من مناقشته فاعترفوا له

---

(١) (عام ١١١٥هـ المتوفى رحمه الله في عام ١٢٠٦هـ ، انظر الأعلام للزركلي ٢٧٥/٦ ، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة ٤٧٢/٣ برقم (١٤٤٦٣)) .

بالفضل ، ثم إنه لم يكتف بهذا القدر من العلم وإن كان فيه الخير إلا أن العلم لا يشبع منه .

فرحل لطلب العلم وترك أهله ووطنه وسافر إلى الحج ، وبعد الحج ذهب إلى المدينة والتقى بعلمائها في المسجد النبوي خصوصا الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف وكان إماما في الفقه وأصوله ، وهو من أهل نجد من أهل المجمعة في سدير ، وكذلك ابنه إبراهيم بن عبد الله مؤلف كتاب " العذب الفائض شرح ألفية الفرائض " .

والتقى كذلك بالمحدث الشيخ محمد حياة السندي وأخذ منه إجازة في مروياته من كتب الحديث ثم رجع إلى بلاده ، ولم يكتف بهذا بل سار إلى بلاد الأحساء في شرق بلاد نجد وفيها العلماء من حنابلة وشافعية ومالكية وحنفية وأخذ عنهم خصوصا عن الحنابلة ، ومنهم محمد بن فيروز وعبد الوهاب بن فيروز أخذ عنهم الفقه ، وأخذ عن عبد الله بن عبد اللطيف الأحسائي .

ولم يكتف بهذا بل ذهب أيضا إلى العراق - إلى البصرة خاصة - وكانت آنذاك آهلة بالعلماء في الحديث والفقه ، فأخذ عن علمائها خصوصا الشيخ محمد المجموعي وغيره ، وكان في كل تنقلاته إذا ظفر بكتاب من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ومن كتب تلميذه ابن القيم نسخه بقلمه ، ونسخ كثيرا من الكتب في الأحساء وفي البصرة فتجمعت لديه مجموعة عظيمة من الكتب .

ثم إنه هم بالسفر إلى بلاد الشام لما فيها من أهل العلم خصوصا من الحنابلة وأهل الحديث ، ولكنه بعدما سار إليها شق عليه الطريق وحصل عليه جوع وعطش وكاد أن يهلك في الطريق - وأنتم تعلمون الإمكانات في ذلك الوقت وبعد المسافة - فرجع إلى البصرة ، وعدل عن السفر إلى الشام ، ثم رجع إلى نجد بعد ما تسلح بالعلم ، وبعدما حصل على مجموعة كبيرة من الكتب ، إضافة إلى الكتب التي كانت عند أهله وعند أهل بلده ، ثم اتجه إلى الدعوة والإصلاح ونشر العلم النافع ، ولم يرض بأن يسكت ويترك الناس على ما هم عليه بل أراد أن ينتشر علمه وأن يدعو إلى الله ، فنظر في مجتمعه فوجد

فيه من الشر والشرك الأمور الكثيرة فأخذته الغيرة على دين الله والرحمة للمسلمين ورأى أنه لا يسعه السكوت على هذا الوضع .

وكان علماء نجد يعنون بالفقه وهم في العقيدة على عقيدة المتكلمين من أشاعرة وغيرهم ليس لهم عناية بعقيدة السلف كما هو في الشام وفي مصر وغيرها من الأقطار ، وكانت العقيدة المنتشرة فيها هي عقيدة الأشاعرة ، مع ما عند كثير منهم من الإخلال بتوحيد الألوهية .

وأما عقيدة السلف فقل من يعني بها ، وطغت على الكثير منهم الخرافات والبدع والشرك في العبادة المتمثل بعبادة القبور هذا من الناحية العلمية .

وأما من الناحية السياسية فكانوا متفرقين ليس لهم دولة تجمعهم بل كل قرية لها أمير مستقل بها ، فالعيينة فيها حاكم ، والدرعية فيها حاكم ، والرياض فيها حاكم ، وكل قرية صغيرة فيها حاكم ، وكانت بينهم حروب وسلب ونهب فيما بينهم وبين القرى والبادية ، فمن الناحية السياسية كانت البلاد في قلق وتفرق وفي تناحر وضياع حتى أن أهل البلد الواحد يقاتل بعضهم بعضا .

وفي بلاد نجد عبادة القبور والاستغاثة بالأموات ، فقد كانت عندهم قبور للصحابة كقبر زيد بن الخطاب ﷺ الذي استشهد مع جماعة من الصحابة في حرب مسيلمة الكذاب وكانوا يستنجدون بها ويستغيثون بها ، وعلى قبر زيد قبة وكانوا يأتون إليها من بعيد . وهي مشهورة عندهم .

وعندهم أشجار ونخيل يعتقدون فيها ويتبركون بها ، بل كانت عندهم النحل الباطلة مثل الصوفية ووحدة الوجود في الرياض والخرج ، هكذا كانت حالتهم الدينية والعلماء ساكتون عن هذا الوضع ، بل إن بعض العلماء يشجعون على هذه الخرافات ويؤيدونها ، فلما رأى - رحمه الله - حال المسلمين تحرك للدعوة إلى الله ﷻ وقام يدعو إلى الله ، ويدرس التوحيد ، وينكر هذه الشركيات والخرافات ، ويقرر منهج السلف الصالح فتكون عنده تلاميذ من الدرعية والعيينة ممن أراد الله له الخير .

ثم إنه اتصل بأمير العيينة وعرض عليه الدعوة فقبل منه الأمير ووعده بالمناصرة في أول الأمر وهدم قبة زيد بن الخطاب حيث طلب من الأمير هدمها لأنه لا يمكن أن يهدمها إلا من له سلطة أما الفرد فلا يستطيع ذلك فاستجاب له الأمير ، وجاء إلى الشيخ امرأة اعترفت بالزنا وطلبت منه أن يقيم عليها الحد فردها ، حتى كررت عليه الطلب مثل ما فعلت الغامدية - رضي الله عنها - في عهد النبي ﷺ [1] فأقام عليها الحد ورجمها ، فلما بلغ أمير الأحساء هدم القبة وأنه رجم المرأة أرسل إلى أمير العيينة وقال : إما أن تطرد هذا المطوع [2] وإلا قطعت عنك المساعدة التي أرسلها إليك . فجاء الأمير إلى الشيخ وعرض عليه الأمر وقال : أنا لا أقدر أن أقاوم هؤلاء . فهدأه الشيخ ووعده بالخير وأن يتوكل على الله وأن الرزق بيد الله وأن هذه عقيدة التوحيد من قام بها فإن الله يعينه وينصره ، لكن الأمير أصر على خروج الشيخ من بلده ، فخرج الشيخ من العيينة في وقت القيلولة وذهب إلى الدرعية وكان له فيها تلميذ من خيار التلاميذ يقال له ابن سويلم فذهب الشيخ من العيينة إلى الدرعية ليس معه إلا المروحة اليدوية يهوي بها على وجهه وهو يمشي ويقول : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [3] يردد هذه الآية وهو يمشي فلما وصل إلى تلميذه في الدرعية أصاب التلميذ خوف وقلق من مجيء الشيخ لأنه يخشى على نفسه وعلى الشيخ من أهل البلد لأنهم متحاذرون من هذا الشيخ ، فهدأه الشيخ وقال : لا يخطر في بالك شيء أبدا ، توكل على الله جل وعلا فهو ينصر من نصره .

وفيما هم كذلك علمت زوجة أمير الدرعية - وكانت امرأة صالحة - فعرضت على زوجها الأمير محمد بن سعود أن يناصر هذا الشيخ الذي جاء ، وأنه نعمة من الله ساقها

---

(١) (انظر صحيح الإمام مسلم ١٣٢١/٣ ، ١٣٢٢ ، كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا ، حديث رقم (١٦٩٥/٢٢) من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه) .

(٢) (كما يسمونه تصغيرا لشأنه) .

(٣) سورة الطلاق الآيتان : ٢ - ٣ .

إليه فالبدار باغتنامه ، فأدخلت عليه الطمأنينة وحب الدعوة وحب هذا العلم ، فقال الأمير : يأتيني . فقالت زوجته : بل اذهب أنت إليه لأنك إذا أرسلت إليه وقلت يأتيني ربما يقول الناس طلبه من أجل أن يبطش به ، لكنك إذا ذهبت إليه يكون هذا عزا له ولك . فذهب إليه الأمير في بيت التلميذ وسلم عليه وسأله عن قدومه ، فشرح له الشيخ وبين له أنه ليس عنده إلا دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وهي الدعوة إلى كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله ، وشرح معناها وبين له أنها عقيدة الرسل .

فقال الأمير : أبشر بالنصر والتأييد ، وقال له الشيخ : وأبشر بالعز والتمكين لأن هذه الكلمة - لا إله إلا الله - من قام بها فإن الله يمكن له . فقال له الأمير : لكني أشترط عليك شرطا . قال : وما هو ؟ قال : أن تتركني وما آخذ من الناس . قال الشيخ : لعل الله يغنيك عن هذا ويفتح لك باب رزق من عنده . فتفرقا على هذا ، وقام الشيخ بالدعوة وقام الأمير بالمناصرة .

ثم توافد الطلاب على الدرعية وصار للشيخ مكانة فيها ، فكان هو الإمام في الصلاة والمفتي والقاضي ، فتكونت إمارة للتوحيد في بلاد الدرعية من ذلك الوقت ، وأرسل الشيخ رسائل إلى أهل البلدان والقرى يدعوهم إلى الله ، والدخول في عقيدة التوحيد ، وترك البدع والخرافات ، فمنهم من استجاب وانضم إلى الدعوة بدون جهاد وبدون قتال ، ومنهم من مانعه وعانده ، فقاتل جنود التوحيد بقيادة الأمير محمد بن سعود وريادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قاتلوا من عاند وعارض .

وامتدت الدعوة في بلاد نجد وسلمت له البلاد ومن حولها ، حتى أمير العيينة الذي كان له موقف مع الشيخ دخل في ولاية محمد بن سعود ، وكذلك دخلت الرياض بعد قتال شديد ، وامتدت إلى الخرج وما وراء الخرج ، وإلى الشمال والجنوب حتى عمت من حدود الشام شمالا إلى حدود اليمن جنوبا ، ومن البحر الأحمر إلى الخليج العربي شرقا ، كلها صارت تحت ولاية الدرعية بادية وحاضرة ، وأفاء الله على الناس في الدرعية الخير

والرزق والغنى والثروة ، وقامت بها أسواق تجارية ، واستنارت بالعلم والقوة ببركة هذه الدعوة السلفية التي هي دعوة الرسل عليهم السلام .

مؤلفاته

ألف الشيخ الكتب وأعظمها : كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، ومن مؤلفاته هذه الرسالة : كشف الشبهات - التي نحن بصدد شرحها إن شاء الله تعالى - وهي عبارة عن رد الشبهات التي أثيرت حول دعوة التوحيد التي قام بها الشيخ .

والمراد بالكشف : إزالة الغطاء عن الشيء ، قال تعالى : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ ﴾ [(١)] ، والشبهات : جمع شبهة ، وهي الأمر المشتبه المختلف الذي لا يدرى هل هو حق أم باطل ، ومنه قول الرسول ﷺ ﴿ إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ﴾ [(٢)] (رواه الإمام البخاري في صحيحه ١٩/١ ، كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه من حديث النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه) .

المشتبهات هنا المراد بها الأمور التي لا يدرى هل هي من الحلال أو من الحرام لسبب تجاذب الأدلة فيها ، ولا يعلمها إلا الخواص من أهل العلم ، فالشبهات هنا المراد بها الأمور المشتبهة التي فيها تلبيس وتغطية وتمويه على الناس يظنونها حقا وهي ليست بحق وكشفها هو الإيضاح لبطلانها .

والمراد هنا كشف ما كان عند الناس من شبهات حول عبادة القبور والاستغاثة بها التي عمت كثيرا من بلاد الإسلام من بعد القرون المفضلة ، حيث أدخل في الإسلام ما ليس منه وذلك عن طريق الشيعة والمتصوفة فهم الذين تسببوا في نشر هذه الشبهات وهذه

---

(١) سورة ق آية : ٢٢ .

(٢) البخاري الإيمان (٥٢) ، مسلم المساقاة (١٥٩٩) ، الترمذي البيوع (١٢٠٥) ، النسائي البيوع (٤٤٥٣) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٨٤) ، أحمد (٢٧٠/٤) ، الدارمي البيوع (٢٥٣١) .

الشركيات التي انتشرت في بلاد الإسلام بحجج واهية ، والجهال يظنونها حقا ؛ فيقولون إن هؤلاء الموتى عباد صالحون ولهم مكانة عند الله ، ونحن أناس مذنبون فهم يتوسلون بهم ويجعلونهم وسائط بينهم وبين الله في غفران الذنوب ويتقربون إليهم .

وبسبب ذلك تغيرت عقيدة التوحيد عند كثير من الناس من عهد بعيد بعد المائة الرابعة ومضي القرون المفضلة ، حتى قيض الله لهذه الأمة علماء يكشفون هذه الشبهات ومن أبرزهم شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الذي قام ودحض هذه الشبهات ووضح للناس عقيدة التوحيد وكتب في ذلك الكتب النافعة وبين عقيدة السلف الصالح وسجلها في كتبه مدعما مسائلها بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ، ودحض هذه الشبهات ، ثم تلاه تلاميذه كالإمام ابن القيم في كتبه ، والإمام ابن كثير ، والإمام الذهبي ، والإمام المزي ، وجاء بعدهم الحافظ ابن رجب الحنبلي - رحمه الله - إلى أن وصل الأمر للشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب فتلقى هذه العقيدة بقوة وقام بالدعوة إليها والجهاد في سبيلها حتى استنارت بها هذه البلاد ولله الحمد وامتدت إلى البلاد المجاورة في مصر والشام والعراق وحتى في بلاد فارس عند أهل السنة وامتدت إلى الهند وإلى المغرب وإلى كثير من البلاد ولله الحمد ، فمن أراد الله له الخير فإنه تأثر بهذه الدعوة المباركة وعرف أنها دعوة حق فاستجاب لها وأيدها ، وقامت الحجة على المعاندين ولله الحمد والمنة وزالت عن البلاد معالم الشرك والوثنية وعوائد الجاهلية .

شرح البسملة

قال رحمه الله : بسم الله الرحمن الرحيم

ابتدأ الرسالة ببسم الله الرحمن الرحيم وهذه هي السنة : أن تبدأ الكتب والرسائل ببسم الله الرحمن الرحيم كما ابتدأ الله تعالى بها في كتابه ، فأول ما ترون في المصحف الشريف : ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [(١)] ، وكذلك قبل كل سورة (بسم الله الرحمن الرحيم) ، والنبي ﷺ ﴿ كان إذا كتب يبدأ كتبه بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴾ [(٢)] (انظر صحيح الإمام البخاري ٤٠٢/٤ كتاب الجهاد باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله ، وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ﴾ [(٣)] إلى آخر الآية . وفي الفتح ١٠٩/٦ ، وانظر تفاصيل ذلك في زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ٦٨٨/٣-٦٩٦ ، ذكر هديه ﷺ في مكاتباته إلى الملوك وغيرهم) ، وإذا تحدث إلى أصحابه يبدأ مجلسه ببسم الله الرحمن الرحيم ، والحكمة في البدء ببسم الله الرحمن الرحيم التبرك بها لأنها كلمة مباركة ، فإذا ذكرت في أول الكتاب أو في أول الرسالة تكون بركة عليه ، أما الكتب أو الرسائل التي لا تبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم فإنها تكون ناقصة لا خير فيها .

ومن ناحية أخرى بسم الله الرحمن الرحيم فيها الاستعانة بالله جل وعلا فقوله : بسم الله الرحمن الرحيم أي أستعين وأتبرك ببسم الله الرحمن الرحيم . فالجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره أستعين وأتبرك ببسم الله الرحمن الرحيم ، والله علم على الذات المقدسة ، والرحمن الرحيم اسمان كريمان من أسمائه الحسنى يتضمنان الرحمة .

---

(١) سورة الفاتحة الآيتان : ١ - ٢ .

(٢) البخاري الجهاد والسير (٢٧٨٢) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٧٣) ، الترمذي الاستئذان والآداب (٢٧١٧) ، أحمد (٢٦٣/١) .

(٣) سورة آل عمران آية : ٧٩ .

مهمة الرسل الأولى تحقيق توحيد العبادة

اعلم رحمك الله

اعلم : هذه الكلمة يبدأ بها في التنبيه إلى الأمور المهمة ، فإذا أردت أن تنبه شخصا على شيء مهم من مسائل العلم تقول له : اعلم من أجل أن ينتبه .

واعلم فعل أمر من العلم يعني تعلم ما يأتي واهتم به وألق بالك لما يلقى عليك ولما يكتب لك ، فهذه كلمة يؤتى بها لأهمية ما يأتي بعدها قال تعالى : ﴿ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ [(١)] وقال تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾ [(٢)] وقال تعالى : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [(٣)] وقال تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [(٤)] .

فهذه كلمة عظيمة يؤتى بها للاهتمام .

ثم قال : رحمك الله : هذا دعاء من الشيخ - رحمه الله - لكل من قرأ هذه الرسالة ، وهذا من باب التلطف لطالب العلم وتحسين الكلام له من أجل أن يقبل على طلب العلم .

---

(١) سورة الطلاق آية : ١٢ .
(٢) سورة محمد آية : ١٩ .
(٣) سورة المائدة آية : ٩٨ .
(٤) سورة المائدة آية : ٩٢ .

التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة

أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة

أي اعلم هذه المسألة العظيمة واجعلها في ذاكرتك واجعلها في اهتمامك دائما وأبدا وهي أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة وليس هو إفراد الله بالربوبية فإن هذا أقر به المشركون ولم يكونوا موحدين لأنم لم يفردوا الله بالعبادة ، فإقرارهم بتوحيد الربوبية ليس هو التوحيد المطلوب وإنما توحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية ولازم له ، فمن أقر بتوحيد الربوبية لزمه أن يقر بتوحيد الألوهية ، والله تعالى يذكر في القرآن في كثير من الآيات توحيد الربوبية دليلا على توحيد الألوهية كما قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [(١)] هذا هو توحيد الربوبية وهو دليل توحيد الألوهية ، فأقام سبحانه وتعالى الحجة عليهم فيما أنكروه من توحيد الألوهية بما اعترفوا به من توحيد الربوبية ليلزمهم بذلك .

حيث قال لهم كيف تعترفون أنه هو الخالق الرازق المحي المميت وأنه لا شريك له في ذلك ثم تشركون في عبادته ، أما الذين يقولون إن التوحيد هو الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت . . . إلخ فهم غالطون غلطا فاحشا ، ولم يأتوا بالتوحيد المطلوب الذي دعت إليه الرسل . وعلى هذا المنهج الباطل أغلب عقائد المتكلمين التي تدرس الآن في كثير من المدارس الإسلامية . وقصد الشيخ - رحمه الله - بذا التعريف هو الرد على هؤلاء الذين ركزوا على توحيد الربوبية وتركوا توحيد الألوهية ، فهذه أول شبهة وهي : أنم جعلوا توحيد الربوبية هو التوحيد المطلوب ، وأن من أفرد الله به فهو الموحد وألفوا كتبهم فيه وبنوا منهجهم عليه وصرفوا هممهم إلى تحقيقه .

---

(١) سورة البقرة الآيتان : ٢١ - ٢٢ .

التوحيد دين الرسل

وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده

فالرسل كلهم ما طلبوا من الناس أن يقرروا بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت لأنهم معترفون بهذا وإنما طالبوا الأمم بإفراد الله بالعبادة ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (١) ما قال أن يقروا بأن الله هو الرب لأنهم مقرون بهذا بل قال : ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (٢) أي اتركوا الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ في الألوهية .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٣) ما قال أنه لا رب سواي ولا خالق إلا أنا ، بل قال سبحانه : ﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ (٤) أي لا معبود بحق سواي .

هذا الذي بعث به الله الرسل ، ما بعث الرسل لتقرير توحيد الربوبية لأن هذا موجود لكنه لا يكفي بل بعثهم لتوحيد الألوهية الذي هو إفراد الله تعالى بالعبادة ، وهو دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم .

---

(١) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٢) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٣) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .
(٤) سورة النحل آية : ٢ .

أول الرسل نوح عليه السلام

فأولهم نوح عليه السلام

كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾ [(١)] فدلت الآية الكريمة على أن أول الرسل هو نوح عليه الصلاة والسلام ، فنوح هو أول رسول بعد حدوث الشرك في الأرض ، وتتابعت بعده الرسل على هذا المنهج الرباني ، وآخرهم محمد ﷺ وهو خاتمهم ولا نبي بعده إلى أن تقوم الساعة قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ ﴾ [(٢)] وقال ﷺ : ﴿ أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ﴾ [(٣)] (رواه الترمذي في سننه بهذا اللفظ ٣٦٨/٦ ، ٣٦٩ (٣٤) كتاب الفتن (٤٣) باب لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون حديث رقم ٢٢٠ من حديث ثوبان رضي الله عنه . وانظر صحيح الإمام البخاري ١٦٢/٤ ، ١٦٣ ، وصحيح مسلم ١٧٩١/٤ ، ومسند الإمام أحمد ٣٩٨/٢ حديث رقم ٩١٥٧ ، وسنن أبي داود ٩٥/٤ ، وسنن الدارمي ٤٠/١) فهو آخر الرسل عليهم الصلاة والسلام وآخر الأنبياء لأن كل رسول نبي فلا يبعث بعده لا رسول ولا نبي فمن اعتقد أنه يبعث بعده رسول أو نبي فهو كافر ، قال ﷺ : ﴿ وسيخرج بعدي كذابون ثلاثون كل منهم يدعي أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ﴾ [(٤)] فمن لم يعتقد ختم الرسالة بمحمد ﷺ وأجاز أن يبعث بعده نبي فهو كافر بالله ﷻ مكذب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين .

---

(١) سورة النساء آية : ١٦٣ .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٤٠ .

(٣) الترمذي الفتن (٢٢١٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، أحمد (٢٧٨/٥) .

(٤) الترمذي الفتن (٢٢١٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٥٢) ، أحمد (٢٧٨/٥) .

إرسال الله نوحا إلى قومه لما غلوا في الصالحين

أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين ود وسواع ويغوث ونسر

الغلو هو مجاوزة الحد ، والغلو في الصالحين هو اعتقاد أنهم ينفعون أو يضرون من دون الله ، وود . . . إلخ : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ماتوا في عام واحد ، فحزن قومهم عليهم حزنا شديدا فجاء الشيطان إليهم وقال لهم : صوروا صورهم وانصبوها على مجالسهم من أجل أن تتذكروا أحوالهم فتنشطوا على العبادة ، جاءهم عن طريق النصيحة وهو يريد لهم الهلاك ، فخدعهم بهذه الحيلة واعتبروا هذه وسيلة صحيحة لأنها تنشط على العبادة ، فهذا فيه التحذير من فتنة الصور وفتنة الغلو في الصالحين ، وهؤلاء نظروا لمصلحة جزئية ولم ينتبهوا لما يترتب عليها من المفاسد ، فالإنسان لا ينظر إلى المصلحة الجزئية وينسى المضار العظيمة التي تترتب عليها في المستقبل .

ثم أهلك قوم نوح بالطوفان فاندرست هذه الأصنام إلى أن جاء عهد الطاغية وهو ملك من ملوك العرب يقال له عمرو بن لحي الخزاعي ، وكان له سلطان على الحجاز وكان في أول أمره رجلا ناسكا على دين قومه ولكن ذهب إلى الشام للعلاج ، فوجد أن أهل الشام يعبدون الأصنام فدخل في فكره هذا الشيء فجاء إلى أهل الحجاز والجزيرة فدعاهم إلى الشرك ، وجاء الشيطان فأرشده إلى مواطن الأصنام التي كانت تعبد عند قوم نوح والتي سفى [1] عليها الرمل بعد الطوفان ، فحفرها ونقب عنها فاستخرجها ووزعها على أحياء العرب فانتشر الشرك من ذلك الوقت .

وكانت هذه الأصنام الموروثة عن قوم نوح هي أكبر الأصنام ، وإلا فلهم أصنام كثيرة حتى إنه كان حول الكعبة المشرفة ثلاثمائة وستون صنما اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى هي أكبر أصنامهم . (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر) (انظر صحيح الإمام البخاري ٧٣/٦ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، كتاب التفسير باب ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا (إنا أرسلنا) بنحوه) .

---

(١) (سفت الريح التراب تسفيه : ذرته ، أو حملته . انظر القاموس المحيط ص ١٦٧١ مادة سفت) .

آخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم

وآخر الرسل محمد ﷺ وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين

كانت حال العرب الدينية قبل بعث النبي محمد ﷺ هي الوثنية ثم بعث الله نبيه محمدا ﷺ بملة إبراهيم الحنيفية السمحة ودعاهم إلى التوحيد بمكة وبقي ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى التوحيد بمكة ، وبقي ثلاثة عشرة سنة يدعوهم إلى التوحيد وينكر عليهم عبادة الأصنام ؛ فاستجاب له من أراد الله له الهداية من الصحابة الذين أسلموا معه في مكة ، ثم إن الله أذن لهم بالهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة ، واجتمع حوله المهاجرون والأنصار وكون جيوش التوحيد وصاروا يغزون المشركين إلى أن جاء في السنة الثامنة من الهجرة إلى مكة فاتحا وصارت مكة تحت سلطة الرسول ﷺ وعند ذلك كسر هذه الأصنام التي حول الكعبة ، وغسل الصور التي في جوف الكعبة ، وأرسل إلى الأصنام التي حول مكة اللات والعزى ومناة من الصحابة من كسرها ومنها صور هؤلاء الصالحين من قوم نوح وانتشر التوحيد واندحر الشرك ولله الحمد .

وهذا معنى قول الشيخ - رحمه الله - : كسر صور هؤلاء الصالحين وذلك يوم فتح مكة وطهر الله به حرمه الشريف من هذه الأصنام .

وامتد التوحيد من بعثته ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين وعهد القرون المفضلة كلها خاليا من الشرك ، فلما انتهت القرون المفضلة انتشر التصوف والتشيع وعند ذلك حدث الشرك في الأمة بعبادة القبور والأضرحة وتقديس الأولياء والصالحين إلى وقتنا هذا ، وهذا الشرك موجود في الأمة ولكن يقيض الله جل وعلا من يقيم الحجة على العباد من الدعاة المخلصين ، ويهدي الله على أيديهم من أراد الله هدايته .

وهكذا ينبغي ويجب على طلبة العلم والدعاة أن يهتموا بذا الأمر وأن يجعلوا الدعوة للتوحيد وإنكار الشرك ودحض الشبهات من أولويات دعوتم فهذا هو الواجب وهذه دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، لأن كل أمر يهون دون الشرك ، فما دام الشرك

....

موجودا فكيف تنكر الأمور الأخرى ! لابد أن نبدأ بإنكار الشرك أولا ونخلص المسلمين من هذه العقائد الجاهلية ، ونبين لهم بالحجة والبرهان وبالجهاد في سبيل الله إذا أمكن ذلك حتى تعود الحنيفية إلى المسلمين كل بحسب استطاعته ومقدرته في كل مكان وزمان ، يجب على الدعاة ألا يغفلوا عن هذا الأمر ويهتموا بأمور أخرى ويبذلوا جهودهم فيها ولا يغطوا أعينهم عن واقع الناس الواقعين في الشرك وعبادة الأضرحة واستيلاء الخرافيين وطواغيت الصوفية على عقول الناس ، هذا أمر لا يجوز السكوت عليه ، وكل دعوة لا تتجه للنهي عنه فهي دعوة ناقصة أو دعوة غير صالحة أو دعوة غير مثمرة .

كما إنه يجب أن يعلم أن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي ولا ينفع إلا إذا كان معه الإقرار بتوحيد الألوهية وتحقيقه قولا وعملا واعتقادا ، وأن المشركين الذين بعث إليهم نبينا محمد ﷺ كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ولم ينفعهم إقرارهم به لما كانوا جاحدين لتوحيد الألوهية .

السبب في إرسال محمد صلى الله عليه وسلم

أرسله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرا ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله ، يقولون نريد منهم التقرب إلى الله ، ونريد شفاعتهم عنده ، مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين ، فبعث الله محمدا ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلا عن غيرهما ، وإلا فهؤلاء المشركون مقرون يشهدون أن الله هو الخالق الرزاق وحده لا شريك له ، وأنه لا يرزق إلا هو ، ولا يحيي إلا هو ، ولا يميت إلا هو ، ولا يدبر الأمر إلا هو ، وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيها كلها عبيده وتحت تصرفه وقهره .

أي أن مشركي العرب الذين بعث إليهم محمد ﷺ يعبدون الله ولم تنفعهم هذه العبادة لما كانت مخلوطة بالشرك الأكبر ، ولا فرق بين أن يكون المشرك به مع الله سبحانه صنما أو عبدا صالحا أو نبيا مرسلا أو ملكا مقربا ، ولا أن يكون قصد المشرك أن معبوده ليس شريكا لله في ملكه بل هو مجرد وسيلة إلى الله ومقرب إليه .

فدل ذلك على أمرين :

الأول : أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يكفي للدخول في الإسلام ولا يعصم الدم والمال ولا ينجي من عذاب الله .

الأمر الثاني : أن عبادة الله إذا دخلها شيء من الشرك أفسدها فلا تصح العبادة إلا مع الإخلاص .

إقرار المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بربوبية الله

الدليل على إقرارهم بتوحيد الربوبية

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون لله هذه الشهادة فاقرأ قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [(١)] **وقوله :** ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [(٢)] **وغير ذلك من الآيات .**

يقول الشيخ رحمه الله تعالى : فإذا طلبت الدليل على أن المشركين مقرون بذا - يعني بتوحيد الربوبية - وأنم يشركون في توحيد الألوهية ، إذا أردت الدليل على هذه المسألة العظيمة التي يعرف بها الحق من الباطل فاقرأ قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [(٣)] فالمشركون يعترفون بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق الرازق المتصرف في عباده الذي بيده الأمر لا ينكر أحد منهم هذا قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [(٤)] هذا الرزق الذي تأكلون

---

(١) سورة يونس آية : ٣١ .
(٢) سورة المؤمنون الآيات : ٨٤ - ٨٩ .
(٣) سورة يونس آية : ٣١ .
(٤) سورة يونس آية : ٣١ .

....

منه وتشربون وتلبسون وتركبون من الذي جاء به هل جاءت به الأصنام ؟ الأصنام جمادات وحجارة ، أم الأشجار أو الأموات أو القبور والأضرحة كلها لا تأتي بأرزاقكم فهم يعترفون بأن أصنامهم لا تخلق ولا ترزق .

قال تعالى : ﴿ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾ (١) السمع الحاسة العظيمة التي تسمع بها الأصوات والبصر الذي تبصر به المرئيات هذه العين التي يجعل الله فيها هذا البصر وهذا النور من الذي خلقه فيك ؟ هل خلقه أحد غير الله ؟ فهل رأيتم أحدا من الخلق أوجد في أحد السمع إذا سلب منه ؟ وهل يستطيع أحد أن يرد للأعمى البصر الذي ذهب عنه ؟ لو اجتمع أهل الأرض كلهم على أن يجعلوا في عينه بصرا ما استطاعوا لا الأصنام ولا الأطباء ولا الحذاق من العلماء ، فالمشركون معترفون بأن أصنامهم لا تعمل أي شيء من ذلك ، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ﴾ (٢) لا يوجد أحد يجيب عن هذا السؤال ولا أحد يستطيع غير الله أن يأتي بالسمع والبصر . ﴿ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ (٣) هذا من العجائب يخرج الحي من الميت يخرج الزرع من الحبة ، ويخرج المؤمن من الكافر ﴿ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ (٤) يخرج الكافر من المؤمن ويخرج البيضة من الطائر ، الذي يقدر على هذا هو الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ ﴾ (٥) هذا عموم ، يعني كل الأمور من الموت والحياة والمرض والصحة والكفر والإيمان والغنى والفقر والليل والنهار والعز والذل والملك يعطي ذلك من يشاء ويأخذه

---

(١) سورة يونس آية : ٣١ .
(٢) سورة الأنعام آية : ٤٦ .
(٣) سورة يونس آية : ٣١ .
(٤) سورة يونس آية : ٣١ .
(٥) سورة يونس آية : ٣١ .

....

ممن يشاء كل ما يجري في هذا الكون من تقلبات وتغيرات من الذي يوجد هذه التغيرات وهذه التقلبات ؟ ﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ [1] ، فقال الله لنبيه ﷺ : ﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [2] ما دام أنكم معترفون أن هذه الأمور بيد الله ، وأن أصنامكم لا تفعل شيئا منها أفلا تتقون الله ﷻ وتوحدونه وتفردونه بالعبادة ؛ لأنكم إن لم تتقوا الله فإن الله يعذبكم لأنه أقام عليكم الحجة وقطع منكم المعذرة فلم يبق إلا العذاب ما دمتم عرفتم الحق ولم تعملوا به ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [3] تبين لكم أن العبادة حق لله تعالى فلا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى فإن لم تعبدوه فإن هذا ضلال ، فماذا بعد الحق الذي هو التوحيد وإفراد الله بالعبادة إلا الضلال الذي هو الشرك .

فليحذر المسلم من هذا وليقبل الحق إذا تبين له خصوصا في أمر التوحيد والعقيدة ، يقبل الحق إذا تبين له ويخاف أن يصرف عنه فلا يقبله بعد ذلك وقوله تعالى : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [4] هذه آيات من سورة المؤمنون مثل الآيات التي في سورة يونس التي ساقها المصنف ومثل غيرها من الآيات التي تقرر أن المشركين يعترفون لله بربوبيته ولكنهم يعارضون في توحيد الألوهية .

---

(١) سورة يونس آية : ٣١ .
(٢) سورة يونس آية : ٣١ .
(٣) سورة يونس آية : ٣٢ .
(٤) سورة المؤمنون الآيات : ٨٤ - ٨٩ .

....

قال تعالى : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ ﴾ (١) مادامت الأرض ومن فيها لله كيف تعبدون الأصنام التي لا تملك شيئا وتعبدون القبور الميتة التي لا حياة في أصحابا ؟ ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ ﴾ (٢) أفلا تذكرون أن الذي يملك الأرض ومن فيها هو المستحق للعبادة دون هذه الأصنام التي تعبدونا .

وهذا إقامة للحجة عليهم بما يعترفون به على ما جحدوه فهم يعترفون بتوحيد الربوبية ويجحدون توحيد الألوهية .

(١) سورة المؤمنون الآيتان : ٨٤ - ٨٥ .
(٢) سورة المؤمنون آية : ٨٥ .

التوحيد الذي جحدوه

فإذا تحققت أنم مقرون بذا ، ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ وعرفت أنت التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد .

أي إذا عرفت أن المشركين مقرون بتوحيد الربوبية ، وأن الذي جحدوه هو توحيد الألوهية ، وهم يقولون إن الله هو الخالق الرازق المحي المميت لكن إذا قيل لهم قولوا لا إله إلا الله قالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ (1) أي إذا قيل لهم اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا قالوا كما قال قوم نوح من قبل : ﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (2) .

كذلك هؤلاء المشركون كان الجدال الذي بينهم وبين الرسول ﷺ هو في عبادة الله وحده لا شريك له ، فالرسول ﷺ يقول لهم : ﴿ قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ﴾ (3) وهم يقولون : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ ﴾ (4) .

ويقولون : هذا دين آبائنا وأجدادنا حتى إن أبا طالب عند الوفاة لما طلب منه الرسول ﷺ أن يقول : لا إله إلا الله أبى أن يقولها ، وقال : ﴿ هو على ملة عبد المطلب ﴾ (5) (رواه البخاري في صحيحه ١٧/٦ ، ١٨ من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه كتاب التفسير (سورة القصص) ، وانظر الفتح ٥/٨-٦ ، ٢٢٢/٣) . وملة عبد المطلب عبادة الأصنام ، هذا هو محل الـ اع بين الرسل وبين الأمم ، فالرسل يقولون

---

(١) سورة ص آية : ٥ .
(٢) سورة نوح آية : ٢٣ .
(٣) أحمد (٤٩٢/٣) .
(٤) سورة ص آية : ٥ .
(٥) البخاري الجنائز (١٢٩٤) ، مسلم الإيمان (٢٤) ، النسائي الجنائز (٢٠٣٥) ، أحمد (٤٣٣/٥) .

....

للأمم اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ولكن المشركين أبوا إلا البقاء على عبادة الأصنام ، فالخصومة بين الرسل وبين الأمم هي في توحيد الألوهية ، أما توحيد الربوبية فهو محل إجماع عند الجميع لم يخالفوا فيه وإنما خالفوا في توحيد الألوهية ، فهو محل النزاع ، وهو الذي شرع من أجله الجهاد في سبيل الله ، يقول الرسول ﷺ : ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ﴾ [1] (رواه البخاري في صحيحه ١٤٠/٩-١٤١ ، كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ . . . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه) وفي رواية : ﴿ إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ﴾ [2] (صحيح البخاري ١١/١ ، ١٢ كتاب الإيمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) .

فلو كان الرسول ﷺ يطلب منهم الإقرار بتوحيد الربوبية ما صار بينهم خصومة ولا نزاع لأنهم معترفون به .

(١) البخاري الصلاة (٣٨٥) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٨) ، النسائي تحريم الدم (٣٩٦٧) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤١) ، أحمد (٢٢٥/٣) .

(٢) البخاري الإيمان (٢٥) ، مسلم الإيمان (٢٢) .

دعاؤهم لله سبحانه ليلا ونارا

كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلا ونارا

وهذا أمر ثان من شأن المشركين كما أنم يعترفون بتوحيد الربوبية فهم أيضا يعبدون الله ، فيدعونه ويحجون إلى البيت ويعتمرون ويتصدقون ويعبدون الله بأنواع من العبادة لكنهم يخلطونا بالشرك بحيث يعبدون الله ويعبدون غيره ، وهذا لا ينفعهم شيئا لأن الشرك يبطل عبادتم ، فالعبادة لا تنفع إلا مع الإخلاص ؛ ولهذا يقول جل وعلا : ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا ﴾ [(١)] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [(٢)] ، ما اقتصر على قوله فليعمل عملا صالحا .

بل لابد أن يتجنب الشرك فإذا كان لم يتجنب الشرك ولو كان يعمل أعمالا كثيرة فإنا تبطل ولا تنفع .

فالمشركون كان عندهم عبادات لله ﷻ وهي من بقايا دين إبراهيم الخليل عليه السلام ، فكانوا في البداية على دين إبراهيم ولكن لما جاء عمرو بن لحي الخزاعي غير دينهم وأدخل فيه الشرك ، لكن بقيت بقايا من دين إبراهيم عندهم وهم مشركون فهم يدعون الله خصوصا إذا وقعوا في الشدة فإنم يخلصون الدعاء لله ﷻ ويتركون دعاء الأصنام لأنا لا تنفع في هذا الموقف ولا تنجدهم في وقت الشدة عليهم بذا فقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [(٣)] وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ﴿٣٢﴾ ﴾ [(٤)] .

---

(١) سورة النساء آية : ٣٦ .
(٢) سورة الكهف آية : ١١٠ .
(٣) سورة الإسراء آية : ٦٧ .
(٤) سورة لقمان آية : ٣٢ .

....

فالعبادات إذا خالطها شرك تكون باطلة ، فالذين يدعون الإسلام الآن ويصلون ويصومون ويحجون ولكنهم يدعون الحسين والبدوي وعبد القادر الجيلاني هؤلاء مثل المشركين الأولين ؛ فالمشركون يتعبدون لله ﷻ ولكنهم يدعون اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ولا يقولون إن هذه أرباب بل يقولون : هذه تقربنا إلى الله زلفى ، نريد منها الزلفى عند الله والتقرب إلى الله ، فهي وسائط وشفعاء بيننا وبين الله .

وهؤلاء يقولون الحسن والحسين وعبد القادر والبدوي إنما هم شفعاء لنا عند الله ولا يقولون إنهم يخلقون ويرزقون ويتصرفون في شيء من الأمور وإنما هذا لله ﷻ إنما هؤلاء وسائط وشفعاء ، ويقول بعض الناس : هؤلاء مسلمون ، فنقول : ولماذا لا يكون كفار قريش مسلمين أيضا ؟ ! .

وهذا القائل ليس عنده فهم للتوحيد ولا بصيرة لأنه ما فهم التوحيد ، والواجب على الإنسان أن يعرف هذا الأمر لأنه مهم جدا وهذه هي الثقافة الصحيحة ، ليست الثقافة أن تعرف أحوال العالم والحكومات والسياسات ، هذه ثقافة لا تنفع ولا تضر ، الثقافة التي تنفع هي معرفة التوحيد الصحيح ومعرفة ما يضاده من الشرك أو ينقصه من البدع والمحدثات ، هذه هي الثقافة الصحيحة وهذا هو المطلوب من المسلم ومن طالب العلم أن يعرف التوحيد وأن يدعو إليه هذا هو المطلوب ، ماذا ينفع العلم الكثير من غير تحقيق ومن غير بصيرة ؟ لا ينفع شيئا ولا يفيد صاحبه شيئا إذا لم يكن مبنيا على تحقيق وتوحيد وعبادة لله ومعرفة للحق من الباطل فإنه لا ينفع صاحبه إذا كان مجرد اطلاع أو مجرد ثقافة عامة .

دعاؤهم للملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له

ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له ، أو يدعو رجلا صالحا مثل اللات أو نبيا مثل عيسى .

هؤلاء المشركون متفرقون في عباداتهم منهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد عيسى ابن مريم ومنهم من يعبد الصالحين ، هذا دين المشركين وهو الواقع في كثير من العالم الإسلامي اليوم - مع الأسف - يعبدون الله ويحجون ويصومون ويصلون لكنهم واقعون في الشرك الأكبر ، فيعبدون الأموات ويذبحون لهم ويستغيثون بهم وقد يعتذر لهم بعض من لا بصيرة عنده بالتوحيد .

فيقول : هؤلاء معذورون ولا يعتقدون في الأموات أنهم يخلقون ويرزقون وإنما اتخذوهم وسائط وشفعاء ، فإن استحيى قال : هؤلاء مخطئون وربما يقول : هؤلاء مجتهدون والمجتهد مأجور أو يقول : هؤلاء جهال ، وكيف يكونون جهالا والقرآن يتلى عليهم والأحاديث تسمع وكلام أهل العلم يتردد عليهم ، بل هؤلاء معاندون لأنهم قد قامت عليهم الحجة فلم يقبلوها ، وهناك من يقول إن الإنسان مهما فعل ومهما قال لا يحكم عليه بالكفر ولا بالشرك حتى يعلم ما في قلبه ، ويا سبحان الله هل نحن نعلم ما في القلوب أو الله الذي يعلم ما في القلوب ؟ ! نحن نحكم على الظواهر أما البواطن فلا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ، فالذي يعمل بالشرك يحكم عليه أنه مشرك ويعامل معاملة المشركين حتى يتوب إلى الله تعالى ويلتزم بعقيدة التوحيد ، كما أن الذي يعمل بالتوحيد وينطق بالشهادتين يعامل معاملة المسلمين ما لم يظهر منه ما يناقض ذلك فنعامل كلا حسب ما يظهر منه .

قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم على شركهم

وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [(1)] .

أي وعرفت أن تعبدهم لله مع الشرك به لم ينفعهم لأن الرسول ﷺ لم يقبله منهم بل دعاهم إلى إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه ، وهذه الآية تمنع عبادة الملائكة وتمنع عبادة الرسل وتمنع عبادة الصالحين ، ففيها إبطال عبادة غير الله ﷻ كائنا من كان ولو كان أصحابا لا يعتقدون فيهم أنهم يخلقون ويرزقون .

وإنما يقولون : إن هؤلاء صالحون ؛ فيتخذونهم وسائط بينهم وبين الله وشفعاء لهم عند الله ﷻ يقربونهم إلى الله زلفى كما قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [(2)] ، وفي زماننا الحاضر يقولون : هؤلاء وسائل نتوسل بهم إلى الله ﷻ وهذا كله دين الجاهلية وهو باطل ؛ لأنه عبادة لغير الله عز وجل .

---

(١) سورة الجن آية : ١٨ .

(٢) سورة يونس آية : ١٨ .

قوله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء

وكما قال تعالى : ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ ﴾ [(١)] .

له دعوة الحق أي العبادة الصحيحة كما قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ [(٢)] والله جل وعلا لا يقبل إلا دعوة الحق يعني الدين الخالص ، أما الذي يعبد الله ويعبد معه غيره فهذه دعوة شرك لا يقبلها الله .

وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [(٣)] عام في كل من دعي من دونه سواء من الملائكة أو من الرسل أو من الصالحين أو من الأصنام أو من أي شيء وقوله : ﴿ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ ﴾ [(٤)] أي لا يستجيبون لمن دعاهم بشيء لأنم عاجزون لا يقدرون على شيء .

---

(١) سورة الرعد آية : ١٤ .
(٢) سورة الزمر آية : ٣ .
(٣) سورة الرعد آية : ١٤ .
(٤) سورة الرعد آية : ١٤ .

....

فائدة في بيان معنى الرب والإله

الله جل وعلا في القرآن ذكر الرب في مواضع ، وذكر الإله في مواضع ، خذ مثلا سورة الناس ، يقول سبحانه وتعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾ [1] فما الفرق بين رب الناس وإله الناس ؟ هل هما بمعنى واحد ؟ إذا يكون الكلام مكررا أو أنما بمعنيين فلابد من معرفة الفرق بينهما ، وكثيرا ما يأتي ذكر الرب كقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ [2] . فتكرر لفظ الرب وتكرر لفظ الإله فما معنى كل منهما ؟ فالرب معناه المربي لخلقه بنعمه ومغذيهم برزقه تربية جسمية بالأرزاق والطعام ، وتربية قلبية روحية بالوحي والعلم النافع وإرسال الرسل .

ومن معاني الرب أنه المالك للسماوات والأرض فرب الشي مالكه والمتصرف فيه ، ومن معاني الرب المصلح الذي يصلح الأشياء ويدفع عنها ما يفسدها ، فالله سبحانه وتعالى هو الذي يصلح هذا الكون وينظمه على مقتضى إرادته وحكمته سبحانه وتعالى .

أما الإله فمعناه المعبود من أله يأله بمعنى عبد يعبد فإله معناه معبود وليس معناه الرب وإنما معناه المعبود والإلهية هي العبادة والوله هو الحب لأنه سبحانه وتعالى يحبه عباده المؤمنون ويخافونه ويرجونه ويتقربون إليه . هذا هو معنى الإله فتبين الفرق بين معنى الرب ومعنى الإله وأنما ليسا بمعنى واحد ومن قال إنما بمعنى واحد فقد غلط ، والعلماء يقولون إذا ذكرا جميعا صار الرب له معنى والإله له معنى ، وإذا ذكر واحد دخل فيه معنى الرب أما إذا ذكرا جميعا مثل ما في سورة الناس فإنه يكون للرب معنى وللإله معنى آخر كما في لفظ الفقير والمسكين إذا ذكرا جميعا كما في قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ

---

(١) سورة الناس الآيات : ١- ٣ .

(٢) سورة المؤمنون الآيتان : ٨٦ - ٨٧ .

....

﴿ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ [1] صار للفقير معنى وللمسكين معنى ، فالفقير هو الذي لا يجد شيئا وأما المسكين فهو الذي يجد بعض الكفاية فالمسكين أحسن حالا من الفقير ، ومثل لفظ الإسلام والإيمان إذا ذكر الإسلام والإيمان صار الإسلام معناه الأعمال الظاهرة والإيمان معناه الأعمال الباطنة كما في حديث جبريل : قال : أخبرني عن الإسلام . قال : ﴿ الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ﴾ [2] فسره بالأركان الظاهرة ، قال : أخبرني عن الإيمان . قال : ﴿ أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [3] (رواه الإمام مسلم في صحيحه ٣٦/١-٣٨ (١) كتاب الأيمان (١) باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول معه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) فسره بالأعمال الباطنة وهو إيمان القلب ، هذا إذا ذكرا جميعا صار لكل واحد معنى وإذا ذكر أحدهما وحده دخل فيه الآخر .

ومن هنا نعرف الفرق أيضا بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، فتوحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله هو الخالق والرازق المحي المميت أي الاعتراف بأفعال الله سبحانه وتعالى ، وتوحيد الألوهية معناه إفراد الله بأعمال العباد التي يتقربون با إليه مما شرع ، هذا معنى توحيد الألوهية فهناك فرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية .

---

(١) سورة التوبة آية : ٦٠ .

(٢) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (٢٧/١) .

(٣) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (٢٧/١) .

....

وما دمنا قد عرفنا معنى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية نأتي إلى حالة المشركين الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ فإنهم كانوا مقرين بالنوع الأول الذي هو توحيد الربوبية ولم يدخلهم في الإسلام ، بل اعتبرهم الرسول ﷺ كفارا مشركين وقاتلهم وهم يقرون بتوحيد الربوبية ، فهم أقروا بتوحيد الربوبية وجحدوا توحيد الألوهية لما طلب منهم أن يفردوا الله بالعبادة ويتركوا عبادة الأصنام قالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [1] لأنه قال لهم قولوا لا إله إلا الله فهم فهموا معنى لا إله إلا الله وهو أنه لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ، وهم لهم أصنام ولهم معبودات كثيرة لا يريدون تركها والاقتصار على عبادة الله وهذا لا يرضيهم ولذلك أنكروا وقالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ ﴾ [2] طلب منا أن نعبد الله وحده ونترك عبادة اللات والعزى ومناة وهبل وغيرها من الأصنام هذا شيء لا يعقل عندهم ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ ﴾ [3] ملة آبائهم فهذا احتجاج بما عليه آباؤهم ، الحجة الملعونة التي احتجت بها الأمم من قبل إذا دعوا إلى عبادة الله ، حتى فرعون يقول : ﴿ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [4] فهم لما فهموا معنى لا إله إلا الله استغربوا هذا واستنكروه وتواصوا برفضه وفي الآية الأخرى يقول سبحانه فيهم : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝ ﴾ [5] .

---

(١) سورة ص آية : ٥ .
(٢) سورة ص آية : ٥ .
(٣) سورة ص آية : ٧ .
(٤) سورة طه آية : ٥١ .
(٥) سورة الصافات الآيتان : ٣٥ - ٣٦ .

....

وهذا يبين معنى لا إله إلا الله تماما ويوضحه ويقطع الجدال ، فإن فيه ردا على من غلط في معنى لا إله إلا الله ، فعلماء الكلام في مقرراتم وعقائدهم يقولون لا إله إلا الله معناها لا خالق ولا رازق ولا قادر على الاختراع إلا الله هذا معنى الإله عندهم .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " والحاذق منهم من يقول : الإله هو القادر على الاختراع ، وهذا غلط وجهل كبير باللغة وبالشرع المطهر إذ معنى الإله المعبود الذي تألهه القلوب وتخضع له وتتقرب إليه " [(1)] فهم لم يفهموا معنى الإله ولذلك يقولون لا إله إلا الله ويكثرون ، ولهم أوراد في الليل والنهار يرددونا ومع هذا يعبدون القبور والأضرحة ويستغيثون بغير الله ﷻ فلم يفهموا معنى لا إله إلا الله وأنا تطلب منهم ترك عبادة القبور والأضرحة وعبادة ما سوى الله من الأصنام والأشجار والأحجار فإذا قالوها لزمهم ترك عبادة الأوثان ، أما هؤلاء فقالوها وعبدوا غير الله ، فالأولون أحذق منهم ولهذا يقول الشيخ : لا خير في رجل جهال المشركين أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله .

---

(١) (انظر معنى كلامه في التدمرية ص١٨٥ ، ١٨٦ ، تحقيق محمد بن عودة السعوي وفي مجموع الفتاوي ٢٠٣/١٣) .

قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ليكون الدعاء كله والنذر لله

وتحققت أن رسول الله ﷺ إنما قاتلهم ليكون الدعاء كله لله ، والنذر كله لله ، والذبح كله لله ، والاستغاثة كلها لله ، وجميع أنواع العبادة كلها لله .

أي لا يكون بعض ذلك لله وبعضه للبدوي ، وبعضه لله وبعضه للحسين ، لابد أن يكون الدعاء كله لله ، والذبح كله لله ، والنذر كله لله ، وسائر العبادات كلها لله ، وهذا هو الدين الصحيح ، أما أن تكون العباة مشتركة بين الله وبين القبور والأضرحة والأولياء والصالحين فهذا ليس هو التوحيد بل هذا هو دين المشركين وإن كان صاحبه يعترف بتوحيد الربوبية ويصوم ويصلي ويحج ويعتمر إلى غير ذلك .

إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام

وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام .

أي لما كان إقرارهم بتوحيد الربوبية الذي ذكره الله عنهم وسجله عليهم لم يدخلهم في الإسلام ، دل على أن التوحيد المطلوب ليس هو توحيد الربوبية وإنما هو توحيد الألوهية ، وهو الفارق بين المسلم والكافر ، أما توحيد الربوبية فكل مقر به المسلم والكافر وهو لا ينفع وحده .

قصدهم الملائكة والأولياء أحل دماءهم وأموالهم

وأن قصدهم الملائكة والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم .

أي أنهم لم يقولوا إن الملائكة والأنبياء والأولياء الذين يعبدونهم يخلقون ويرزقون ويحيون ويميتون ما قالوا هذا وإنما اتخذوهم شفعاء ووسائط بينهم وبين الله كما قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (١) ما أرادوا منهم إلا الشفاعة ، وزعموا أن هذا تعظيم لله ، يقولون : الله عظيم ما يمكن أن نصل إليه بدعائنا لكن نتخذ من يوصل إليه حاجاتنا من عباده الصالحين ، من الملائكة والرسل والصالحين فقاسوا الله على ملوك الدنيا الذين يتوسط عندهم أصحاب الحاجات بالمقربين عندهم ، فهم لم يعتقدوا فيهم أنهم يخلقون ويرزقون كما يقول الجهال : إن الشرك هو اعتقاد أن أحدا يخلق مع الله أو يرزق مع الله ، هذا ما قاله أحد من عقلاء بني آدم ، وإنما قصدهم الشفاعة ، وفي الآية الأخرى : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ (٢) يقولون نحن عباد ضعفاء والله جل وعلا شأنه عظيم ولا نتوصل إليه فهؤلاء يقربونا إلى الله زلفى ، شبهوا الله بملوك الدنيا هذا هو أصل الكفر ، فدل على أنهم لم يعتقدوا فيهم الشرك في الربوبية وإنما اعتقدوا فيهم الشرك في الألوهية ، فإذا سألت أي واحد الآن يذبح للقبور أو ينذر لها : ما الذي حملك على هذا ؟ فإنهم يقولون كلهم بلسان واحد : والله ما اعتقدنا أنهم يخلقون ويرزقون وأنهم يملكون شيئا من السماوات والأرض إنما اعتقدنا أنهم وسائط لأنهم صالحون يوصلون إلى الله حاجاتنا ويبلغونه حاجاتنا هذا قصدنا ، ومع هذا سماهم الله مشركين وأمر نبيه بجهادهم كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ

(١) سورة يونس آية : ١٨ .

(٢) سورة الزمر آية : ٣ .

....

وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ [1] مع أنم يقولون لا نعتقد أنم يخلقون ويرزقون ويدبرون مع الله وإنما قصدنا اتخاذهم وسائط فنحن نذبح لهم وننذر لهم ونتوسل بم لأن الله لا يصل إليه شيء من أمورنا إلا بواسطتهم ، فهم يوصلونه إلى الله ويكونون وسائط يقربوننا إلى الله زلفى وشفعاء عند الله ، هذه شبهتهم قديما وهذه شبهة عباد القبور اليوم ﴿ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ ﴾ [2] فتشابت أقوالهم وأفعالهم .

(١) سورة التوبة آية : ٥ .

(٢) سورة البقرة آية : ١١٨ .

المشركون بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية

عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون .

أي إذا فهمت ما سبق من الآيات البينات التي تدل على أن المشركين الأولين لم يشركوا في الربوبية وإنما أشركوا في الألوهية فاتخذوا الآلهة من دون الله لتقربم إلى الله ﷻ وتشفع لهم عنده ، إذا تبين لك هذا عرفت أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل وجحده المشركون هو توحيد الألوهية لا توحيد الربوبية ، وأن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يكفي ولا يدخل من أقر به في الإسلام .

ومعرفة ذلك أمر مهم جدا إذ به يعرف التوحيد والشرك والإسلام والكفر ، والجهل بذلك ضرره عظيم وخطره كبير لأن الإنسان قد يخرج من الإسلام وهو لا يدري .

توحيد العبادة هو معنى لا إله إلا الله

وهذا التوحيد هو معنى قوله : لا إله إلا الله .

أي معنى لا إله إلا الله هو توحيد الألوهية لا توحيد الربوبية لأنه لو كان معناها توحيد الربوبية لما قال الرسول ﷺ للمشركين : ﴿ قولوا : لا إله إلا الله ﴾ [1] لأنهم يقولون : إن الله هو الخالق الرازق المحي المميت وإنه حينئذ يطلب منهم ما هو تحصيل حاصل ويقاتلهم على شيء يعترفون به ويقرون به ، وهذا القول باطل .

(١) أحمد (٤٩٢/٣) .

الإله عند المشركين هو الذي يقصد لأجل ربوبيته

فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو شجرة أو قبرا أو جنيا .

هذا تعليل لما سبق في تقرير معنى لا إله إلا الله وأنه توحيد الألوهية ؛ لأن الإله عند مشركي العرب هو الذي يقصد لقضاء الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفان ، وليس الإله عندهم هو الذي يخلق ويرزق ويدبر ، ليس هذا هو الإله عندهم ، فالشرك عندهم لم يقع في توحيد الربوبية وإنما وقع في توحيد الإلهية .

قصد المشركين بمعنى الإله

لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر ، فإنم يعلمون أن ذلك لله وحده ، كما قدمت لك وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ " السيد " .

أي ليس الإله عند المشركين الأولين هو الخالق الرازق المدبر لأن هذا معنى الرب ، وفرق بين معنى الرب ومعنى الإله وفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا أي زمان المؤلف بلفظ السيد ، وإلى الآن يسمون هؤلاء الذي يدعون صلاحهم ويتقربون إليهم يسمونم السادة كالسيد البدوي والسيد الرفاعي والسيد التيجاني إلى غير ذلك ، يعتقدون أن هؤلاء السادة لهم م لة عند الله تؤهلهم أن يتوسطوا لهم عند الله وتؤهلهم أن يدعوا من دون الله ويذبح وينذر لهم ويطاف بقبورهم ويتبرك با ، فالمشركون الأولون يسمون هذه الأشياء آلهة والمشركون المتأخرون يسمون هذه الأشياء وسائط ووسائل وشفعاء والأسماء لا تغير الحقائق فهي آلهة .

دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم المشركين إلى كلمة التوحيد

فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي : لا إله إلا الله ، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها .

أي أن النبي ﷺ دعا المشركين إلى تحقيق معنى : لا إله إلا الله التي هي كلمة التوحيد ، ومعناها : لا معبود بحق إلا الله ، وهو الذي بعث الله به رسوله إلى المشركين ولم يبعثه إليهم يدعوهم إلى توحيد الربوبية لأنهم مقرون به وهو لا يكفي ؛ لأنه قاتلهم وهم يقرون به ، ومن قال إنه يكفي فإنه يلزم عليه تغليط الرسول وأنه قاتل أناسا مسلمين يعترفون بلا إله إلا الله إذا فسرناها بتوحيد الربوبية وهو الإقرار بالخالق الرازق القادر على الاختراع .

ومع الأسف هذا التفسير الخاطئ للا إله إلا الله موجود في كتب العقائد التي ألفها علماء الكلام وعلماء المنطق من المعتزلة والأشاعرة والتي تدرس في كثير من المعاهد الإسلامية الآن ، وعقائدهم مبنية على هذا الرأي ، وأن الإله معناه القادر على الاختراع ، فمن اعترف أن الله هو الخالق الرازق يعتبر موحدا ، وأما من اعتقد أن أحدا يخلق أو يرزق مع الله فهذا هو المشرك عندهم ، مع أن الشرك إنما وقع في توحيد الألوهية ولم يقع في هذا ، وليس هذا هو معنى لا إله إلا الله .

وإنما معناها : لا معبود بحق إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله وجب عليه أن يفرد الله بالعبادة ، وأن يترك عبادة ما سواه ، فإن المقصود من هذه الكلمة معناها والعمل بمقتضاها لا مجرد النطق بها دون عمل بمعناها ومقتضاها ، فمن قالها وهو يعبد غير الله لم يكن عاملا بمقتضاها وهو ترك الشرك ، ولا ينفعه مجرد النطق بها لأنه قد ناقض فعله قوله ، والمشركون الأولون لما سمعوا هذه الكلمة عرفوا معناها وأنه ليس المقصود التلفظ بها فقط ولذلك قالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [1] .

(١) سورة ص آية : ٥ .

....

وفي وقتنا هذا وجد من يفسر لا إله إلا الله بأن معناها هو إفراد الله بالحاكمية وهذا غلط . لأن الحاكمية جزء من معنى لا إله إلا الله وليست هي الأصل لمعنى هذه الكلمة العظيمة ، بل معناها لا معبود بحق إلا الله بجميع أنواع العبادات ويدخل فيها الحاكمية ولو اقتصر الناس على الحاكمية فقاموا بها دون بقية أنواع العبادة لم يكونوا مسلمين ، ولهذا تجد أصحاب هذه الفكرة لا ينهون عن الشرك ولا يهتمون به ويسمونه الشرك الساذج ، وإنما الشرك عندهم الشرك في الحاكمية فقط وهو ما يسمونه الشرك السياسي ، فلذلك يركزون عليه دون غيره ، ويفسرون الشرك بأنه طاعة الحكام الظلمة .

علم الكفار الجهال بمراد قول لا إله إلا الله

والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق ، والكفر بما يعبد من دون الله ، والبراءة منه ، فإنه لما قال لهم : قولوا : لا إله إلا الله قالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [١] .

أي الكفار يعرفون معنى لا إله إلا الله ؛ ولهذا لما قال لهم ﷺ : ﴿ قولوا : لا إله إلا الله ﴾ [٢] قالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ ﴾ [٣] ، ولما قال لهم : ﴿ قولوا : لا إله إلا الله ﴾ [٤] قالوا : ﴿ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ۝ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ﴾ [٥] فهم فهموا معنى لا إله إلا الله ، وأبوا أن يعترفوا به لأنه يلزمهم بترك عبادة الأصنام ، وهم لا يريدون هذا ، وإنما يريدون البقاء على عبادة الأصنام ، ولم يجرؤوا أن يقولوا لا إله إلا الله ويبقوا على عبادة الأصنام لأن في هذا تناقضا وهم يأنفون من التناقض ، في حين أن كثيرا من المنتمين إلى الإسلام اليوم لا يأنفون من هذا التناقض ، فهم يقولون لا إله إلا الله بحروفها ولكنهم يخالفونا ويعبدون غير الله من القبور والأضرحة والصالحين بل والأشجار والأحجار وغير ذلك ، فهم لا يفهمون معنى لا إله إلا الله .

فلا يكفي التلفظ بلا إله إلا الله دون علم بمعناها وعمل بمقتضاها بل لابد من العلم بمعناها أولا ثم العمل بمقتضاها لأنه لا يمكن أن يعمل بمقتضاها وهو يجهل معناها ، ولهذا يقول جل وعلا : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ ﴾ [٦] فبدأ بالعلم قبل القول والعمل ، فالذي يجهل معنى لا إله إلا الله لا يمكن أن يعمل بمقتضاها على الوجه الصحيح .

---

(١) سورة ص آية : ٥ .
(٢) أحمد (٣/٤٩٢) .
(٣) سورة ص آية : ٥ .
(٤) أحمد (٣/٤٩٢) .
(٥) سورة الصافات الآيتان : ٣٦ - ٣٧ .
(٦) سورة محمد آية : ١٩ .

جهل من يدعي الإسلام مراد قول لا إله إلا الله

فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة ، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني .

هذا من أعجب العجب أن جهال الكفار والمشركين في عهد النبي ﷺ يعرفون أن معنى هذه الكلمة هو إخلاص العبادة لله وترك عبادة غيره فلذلك امتنعوا عن النطق بها تحاشيا لترك عبادة آلهتهم وتعصبا لباطلهم ، ومن يدعي الإسلام اليوم لا يفهم أن معنى هذه الكلمة هو ترك عبادة القبور والأضرحة وإخلاص العبادة لله ، فلذلك صار يقولها وهو مقيم على شركه لا يأنف التناقض والجمع بين الضدين ، فصار جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ، وصار هذا المدعي للإسلام يظن أن المراد بهذه الكلمة هو النطق بحروفها من غير اعتقاد لمعناها فصار يردد معها دعاء الموتى والمقبورين ليلا ونارا .

خلط من يدعي الإسلام بين معنى الرب والإله

والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله .

كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة التدمرية وغيرها [(1)] عن علماء الكلام أن الإله عندهم هو القادر على الاختراع ، يعني هو الذي يقدر على الخلق والرزق والإحياء والإماتة ، ويبنون عقائدهم على هذا ، ويفسرون لا إله إلا الله بهذا المعنى ، ويجعلون التوحيد هو الإقرار بتوحيد الربوبية وهذا غلط عظيم .

فإذا كان هذا حال العالم منهم فكيف بالجاهل ؟ وما هذا إلا من قلة الاهتمام بدعوة التوحيد وتقليد الآباء والأجداد والاكتفاء من الإسلام بمجرد الانتساب لأغراض وأهداف دنيوية الله أعلم بها ، من غير تعرف على الدين الحقيقي الذي أساسه التوحيد الخالص .

(١) (انظر التدمرية ص١٨٥ تحقيق الدكتور محمد بن عودة السعوي ، ومجموع الفتاوى ٢٠٣/١٣) .

عدم خيرية من يكون جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله

فلا خير في **رجل جهال الكفار أعلم منه** بمعنى **لا إله إلا الله**

لا خير في رجل يدعي الإسلام بل يدعي أنه من أهل العلم ولا يفهم معنى لا إله إلا الله وقد فهمها كفار قريش وعرفوا معناها .

إن الأمر خطير ، والعار شنيع ، والواجب على المسلمين أن ينتبهوا لدينهم ويتأملوا دعوة نبيهم ويفقهوا دينهم فقها صحيحا ويقيموه على أساس سليم من عقيدة التوحيد والبراءة من الشرك وأهله ، ولا يكتفوا بمجرد التسمي والانتساب إليه مع البقاء على الرسوم والعادات المخالفة له ، وترديد عبارات جوفاء لا تسمن ولا تغني من جوع .

نعمة الله على المؤمن بالتوحيد
توجب الفرح به والخوف من سلبه

إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب .

أي إذا عرفت ما ذكرت لك من الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، وعرفت أن المشركين أقروا بالأول وجحدوا الثاني فلم يدخلهم في الإسلام ، وقتلوا واستحلت دماؤهم وأموالهم - إذا عرفت هذه الأمور معرفة قلب لا معرفة لسان فقط كأن يحفظ الإنسان هذا المعنى ويؤديه في الامتحان وينجح فيه ولم يتفقه فيه في قلبه ويفهمه تماما فهذا لا يكفي ، فالعلم هو علم القلب وعلم البصيرة لا علم اللسان فقط .

الشرك المراد في قوله تعالى
إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء

وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ (1) .

أي الشرك في العبادة لا الشرك الذي هو اعتقاد أن أحدا يخلق ويرزق ويدبر مع الله بل الشرك الذي حذر الله منه هو اعتقاد أن أحدا يستحق العبادة أو شيئا من العبادة مع الله .

فالشرك هو دعوة غير الله معه أو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله ، هذا هو الشرك الذي حرمه الله وحرم على صاحبه الجنة وأخبر أن مأواه النار ، وهو الشرك الذي يحبط جميع الأعمال ، وهو الشرك في الألوهية وليس الشرك في الربوبية ، وهذا تنبيه من الشيخ - رحمه الله - إلى أنه كما تجب معرفة التوحيد تجب معرفة الشرك .

(1) سورة النساء آية : ٤٨ .

دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم

وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم ، الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه .

دين الرسل هو الإسلام وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك وأهله هذا هو دين الرسل وهذا هو الإسلام ، وأما الانتساب إلى الإسلام في الظاهر دون الباطن أو الانتساب إليه بالتسمي فقط دون التزام لأحكامه ، أو الانتساب إليه مع ارتكاب ما يناقضه من الشرك والوثنيات ، أو الانتساب إليه مع الجهل بحقيقته ، أو الانتساب إليه دون موالاة لأوليائه ومعاداة لأعدائه فليس هذا هو الإسلام الذي جاءت به رسل الله ، وإنما هو إسلام اصطلاحي مصطنع لا يغني ولا ينفع عند الله سبحانه وتعالى ، وليس هو دين الرسل .

جهل غالب الناس بالتوحيد والشرك

وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا .

وهو الجهل بالتوحيد والجهل بالشرك ، هذا هو الذي أوقع كثيرا من الناس في الضلال ، وهو أنهم يجهلون التوحيد الصحيح ويجهلون الشرك ويفسرون كلا منهما بغير تفسيره الصحيح ، هذا هو الذي أوقع كثيرا من الناس في الغلط والكفر والشرك والبدع والمحدثات إلى غير ذلك ، وذلك بسبب عدم معرفة ما أمر الله به من توحيده وطاعته ، وما نهى عنه من الإشراك به ومعصيته فالعوام لا يتعلمون ، وغالب العلماء مكبون على علم الكلام والمنطق الذي بنوا عليه عقيدتهم وهو لا يحق حقا ولا يبطل باطلا بل هو كما قال بعض العلماء : " لا ينفع العلم به ولا يضر الجهل به " [1] .

(١) (انظر كتاب الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٣ (بنحوه)) .

فائدتان

الفائدة الأولى

الفرح بفضل الله

أفادك فائدتين : الأولى : الفرح بفضل الله ورحمته كما قال تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨ ﴾ (1) **وأفادك أيضا الخوف العظيم .**

أي العلم بذه الحقائق يفيدك فائدتين :

الفائدة الأولى :

أنك تفرح بفضل الله حيث من عليك بمعرفة الحق من الباطل فإنا نعمة عظيمة ، حرم منها الكثير من الخلق ، قال تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨ ﴾ (2) وفضل الله هو الإسلام ، ورحمته هي القرآن ، فليفرحوا فرح شكر واعتراف بالنعمة ، والفرح بفضل الله مشروع لأنه شكر لله سبحانه وتعالى على نعمة التوحيد ومعرفة الشرك ، وهذه نعمة إذا وفقت لها فإنه قد جمع لك الخير كله ، الفرح بالنعمة مشروع ، أما الفرح المنهي عنه فهو الفرح بالدنيا كما قال تعالى : ﴿ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ۝٢٦ ﴾ (3) فالفرح بالدنيا وحطامها مذموم ، أما الفرح بالدين والفرح بالعلم النافع فهذا مشروع لأن الله أمر به .

---

(1) سورة يونس آية : ٥٨ .
(2) سورة يونس آية : ٥٨ .
(3) سورة الرعد آية : ٢٦ .

الفائدة الثانية
الخوف من الوقوع في مخالفة التوحيد

والفائدة الثانية :

أنك إذا عرفت التوحيد الصحيح وعرفت الشرك القبيح فإن ذلك يفيدك الخوف أن تقع فيما وقع فيه كثير من الناس بالمخالفة لهذا الأصل والوقوع في الشرك وأنت لا تدري فلا تأمن على نفسك من الفتنة فلا تغتر بعملك أو بفهمك ، ولكن قل لا حول ولا قوة إلا بالله واسأل الله الثبات ، فإن إبراهيم الخليل الذي أعطاه الله من العلم واليقين ما لم يعط غيره إلا نبيا يقول : ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ ﴾ [(١)] فإبراهيم لم يأمن على نفسه الفتنة مع علمه ويقينه وهو الذي كسر الأصنام بيده وألقي في النار بسبب ذلك ، ومع هذا يخاف على نفسه من الفتنة ، فلا تغتر بعلمك وتأمن على نفسك من الفتنة ولكن كن دائما على حذر من الفتنة بأن لا تزل بك القدم وتغتر بشيء يكون سببا لهلاكك وضلالك ، فإن بعض المغرورين اليوم يقول إن الناس تجاوزوا مرحلة الجهل والبدائية وصاروا مثقفين واعين لا يتصور أن يعودوا للوثنية ، أو نحوا من هذا الكلام الفارغ ، ولم يفطن لعبادة الأضرحة التي تنتشر في كثير من البلاد الإسلامية ، ولم ينظر فيما وصل إليه كثير من الناس من الجهل بالتوحيد .

---

(١) سورة إبراهيم الآيتان : ٣٥ - ٣٦ .

كفر الإنسان بكلمة يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل

فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل .

قد يقول الإنسان كلمة من الكفر تحبط عمله كله كالرجل الذي قال : ﴿ والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله جل وعلا : من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان ، إني قد غفرت له وأحبطت عملك ﴾ [1] (رواه الإمام مسلم في صحيحه ٢٠٢٣/٤ كتاب (٤٥) البر والصلة والآداب (٣٩) باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى حديث رقم ١٣٧ - (٢٦٢١) . من حديث جندب رضي الله عنه .) كلمة واحدة تجرأ فيها على الله وأراد أن يمنع الله أن يغفر لهذا المذنب ، فالله جل وعلا أحبط عمله وغضب عليه .

والإنسان قد يتكلم بمثل هذه الكلمة ونحوها فيخرج من دين الإسلام ، فالذين مع النبي ﷺ لما قالوا : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا وأكذب ألسنا وأجبن عند اللقاء ! يزعمون أنهم قالوها من باب المزح ويقطعون بها الطريق بزعمهم قال الله فيهم : ﴿ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ ﴾ [2] [3] دل على أنهم مؤمنون في الأول فلما قالوا هذه الكلمة كفروا - والعياذ بالله - مع أنهم يقولونها من باب المزح واللعب .

---

(١) مسلم البر والصلة والآداب (٢٦٢١) .

(٢) سورة التوبة الآيتان : ٦٥ - ٦٦ .

(٣) (انظر جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري ١٩/١٠-٢٠ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٥١/٢-٣٥٢ ، وأسباب النزول للواحدي ١٨٧-١٨٨) .

وقد يقولها وهو يظن أنا تقربه إلى الله تعالى كما كان يظن المشركون

أي يقول كلمة الكفر وهو يظن أنا تقربه إلى مثل ما يقول المشركون : ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [1] ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ [2] .

(١) سورة الزمر آية : ٣ .

(٢) سورة يونس آية : ١٨ .

خصوصا إن ألهمك الله ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم ، أنم أتوه قائلين : ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ﴾ [1] فحينئذ يعظم حرصك وخوفك على ما يخلصك من هذا وأمثاله .

قوم موسى هم بنو إسرائيل الذين آمنوا بموسى خرجوا معه من مصر حيث أمره الله أن يخرج بم فرارا من فرعون ، فخفي عليهم هذا الأمر مع أنم علماء وفيهم صلاح وتقوى ، وخرجوا مع موسى مقاطعين لفرعون وقومه ، فلما أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم أرادوا تقليدهم في ذلك وطلبوا من موسى فقالوا : ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ﴾ [2] فأنكر عليهم موسى هذه المقالة ، وأخبرهم أن عمل هؤلاء القوم شرك بالله ﷻ فانظر كيف خفي عليهم هذا الأمر مما يدل على خطورة الجهل بالتوحيد وعدم معرفة حقيقة الشرك مما يسبب أن الإنسان قد يقول الكلمة التي تقتضي الكفر والخروج من الدين وهو لا يدري .

ولا يخلصك من هذا وأمثاله إلا العلم النافع الذي به تعرف التوحيد من الشرك ، وتحذر به من القول أو الفعل اللذين يوقعانك في الشرك من حيث لا تدري ، وهذا يدل على بطلان قول من يقول : إن من قال كلمة الكفر أو عمل الكفر لا يكفر حتى يعتقد بقلبه ما يقول ويفعل ، ومن يقول : إن الجاهل يعذر مطلقا ولو كان بإمكانه أن يسأل ويتعلم ، وهي مقالة ظهرت ممن ينتسبون إلى العلم والحديث في هذا الزمان .

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٣٨ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٣٨ .

اقتضاء حكمة الله تعالى أن يجعل لأنبيائه وأوليائه أعداء من الإنس والجن

واعلم أن الله تعالى بحكمته لم يبعث نبيا بذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ ﴾ (١) .

وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ (٢) .

حكمة الله تعالى في هذا تتلخص في أمرين :

الأمر الأول : أنه ما بعث نبيا من أنبيائه إلا جعل له أعداء من المشركين كما في الآية التي ذكرها المؤلف وكما في الآية : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ (٣) ولله في ذلك الحكمة من أجل أن يتبين الصادق من الكاذب ، ويتبين المطيع من العاصي ، إذا بعث الأنبياء يدعون إلى الهدى صار هناك دعاة للضلال من أجل أن يمتحن الناس أيهم يتبع الأنبياء وأيهم يتبع دعاة الضلال ، ولولا ذلك لكان الناس كلهم يتبعون الأنبياء ولو في الظاهر ، ولا يتميز الصادق في اتباعه من المنافق لأن الأنبياء يتبعهم المؤمن الصادق ويتبعهم المنافق الكاذب ، والذي يميز هذا من هذا هو الابتلاء والامتحان ، فالشدائد هي التي تبين الصادقين من المنافقين ، فالله جعل أعداء للأنبياء لحكمة من أجل الابتلاء والامتحان ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ (٤) ، هذه هي الحكمة بأن الله جعل لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن ، والشيطان هو المارد العاصي فكل من تمرد عن طاعة الله فإنه شيطان سواء كان

---

(١) سورة الأنعام آية : ١١٢ .
(٢) سورة غافر آية : ٨٣ .
(٣) سورة الفرقان آية : ٣١ .
(٤) سورة الأنفال آية : ٣٧ .

....

من الجن أو من الإنس ، حتى الدواب المتمردة تسمى شيطانا ، وهو من شاط الشيء إذا اشتد ، أو من شطن إذا ابتعد ، فالشيطان يكون من عالم الجن ويكون من عالم الإنس .

وقوله تعالى : ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [1] الزخرف في الأصل الذهب ، وزخرف القول هو القول المموه المزور ؛ لأجل أن يغر الناس ، فالقول المزخرف هو الباطل المغلف بشيء من الحق ، وهذا من أعظم الفتنة لأن الباطل لو كان مكشوفا ما قبله أحد ، لكن إذا غطي بشيء من الحق فإنه يقبله كثير من الناس ، وينخدعون بذه الزخرفة ، فهو باطل في صورة الحق ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [2] الله قادر على منعهم من ذلك لكنه شاء أن يفعلوه من أجل الابتلاء والامتحان ، وإذا كان هذا مع الأنبياء فكيف بغيرهم من الدعاة إلى الله وعلماء التوحيد ، فأتباع الأنبياء أيضا يكون لهم أعداء من دعاة الباطل في كل زمان وفي كل مكان ، هذا مستمر في الخلق وجود دعاة الحق وإلى جانبهم دعاة الباطل في كل زمان ومكان .

الأمر الثاني : وهو العجيب أن دعاة الباطل يكون عندهم علوم وعندهم كتب وعندهم حجج يجادلون بها أهل الحق كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم ﴾ [3] يعني الكفار ، ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [4] الحقائق البينة والعلم النافع ﴿ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [5] الذي توارثوه عن أجدادهم وآبائهم والذي هو عبارة عن كتبهم وعن حججهم التي توارثوها ، وهذا واقع الآن ، فكم في الساحة من كتب أهل الباطل ككتب الجهمية ، وكتب المعتزلة ، وكتب الأشاعرة ، وكتب الشيعة كم في الساحة من كتب هؤلاء ! وعندهم حجج مركبة ومزيفة تغر الإنسان الذي ليس عنده تمكن من العلم فعلم الكلام وعلم المنطق اعتمدوه وجعلوه هو العلم الصحيح الذي يفيد اليقين .

---

(١) سورة الأنعام آية : ١١٢ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١١٢ .
(٣) سورة غافر آية : ٨٣ .
(٤) سورة غافر آية : ٨٣ .
(٥) سورة غافر آية : ٨٣ .

وجوب التسلح بالكتاب والسنة لدحض شبهات الأعداء

وجوب تعلم من دين الله ما يصير سلاحا تقاتل به الشياطين

إذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق إلى الله تعالى لابد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج ، فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير سلاحا تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك ﷻ ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (1) .

أما أدلة القرآن والسنة فهي حجج ظنية بزعمهم لا تفيد اليقين وهذا من تمام الفتنة والتزييف على الناس ، لأن الواقع الصحيح هو العكس وهو أن أدلة القرآن تفيد اليقين ، وأدلة المنطق والجدل تفيد الشك والحيرة والاضطراب ، كما أقر بذلك كبراؤهم عند الموت أو عند توبتهم ورجوعهم عن علم الكلام .

إذا كان هؤلاء عندهم فصاحة وعندهم حجج وعندهم كتب فلا يليق بك أن تقابلهم وأنت أعزل ، بل يجب عليك أن تتعلم من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ ما تبطل به حجج هؤلاء الذين قال إبليس إمامهم ومقدمهم لربك ﷻ ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ ﴾ (2) أي لبني آدم ﴿ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ (3) أي الطريق الموصل إليك ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (4) . تعهد الخبيث أنه سيحاول إضلال بني آدم وكذلك أتباعه من شياطين الإنس من أصحاب الكتب الضالة والأفكار المنحرفة يقومون بعمل إبليس في إضلال الناس .

---

(1) سورة الأعراف الآيتان : ١٦ - ١٧ .
(2) سورة الأعراف آية : ١٦ .
(3) سورة الأعراف آية : ١٦ .
(4) سورة الأعراف آية : ١٧ .

الإقبال على الله والإصغاء إلى حججه وبيناته

ولكن إذا أقبلت على الله وأصغيت إلى حججه وبيناته فلا تخف ولا تحزن ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [1] .

كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [2] فهم مهما كان عندهم من القوة الكلامية والجدال والبراعة في المنطق والفصاحة إلا أنهم ليسوا على حق ، وأنت على حق ما دمت متمسكا بالكتاب والسنة وفهمت الكتاب والسنة فاطمئن فإنهم لن يضروك أبدا ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [3] لكن هذا يحتاج إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة فإنك بذلك لا تخاف مهما كان معهم من الحجج والكتب لأنها سراب كما قال الشاعر :

حجج تهافت كالزجاج تخالها ... حقا وكل منها كاسر مكسور [4]

فالسراب يزول ، كذلك هذه الحجج إذا طلعت عليها شمس القرآن وبينات القرآن زال هذا الضباب الذي معهم ، وهذه سنة الله سبحانه وتعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [5] . ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [6] فذائف الحق تدمر الباطل مهما كان .

---

(١) سورة النساء آية : ٧٦ .
(٢) سورة النساء آية : ٧٦ .
(٣) سورة النساء آية : ٧٦ .
(٤) (ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام الخطابي في مجموع الفتاوى ٨٢/٤) .
(٥) سورة الأنبياء آية : ١٨ .
(٦) سورة سبأ آية : ٤٨ .

تقسيم الناس إلى ثلاثة أقسام

والعامي من الموحدين يغلب ألفا من علماء هؤلاء المشركين ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [1] .

هذا من العجائب أن العامي غير المتعلم من الموحدين يغلب ألفا من علماء المشركين ، ذلك لأن العامي عنده الفطرة السليمة التي لم تتلوث بالشكوك والأوهام وقواعد المنطق وعلم الكلام ، أما العالم المشرك فليس عنده فطرة سليمة ولا علم صحيح ، وصاحب الفطرة السليمة يتغلب على الذي ليس عنده فطرة ولا علم لأن علمه جهل ، إذا فالناس ثلاثة أقسام :

القسم الأول :

من عنده علم صحيح وفطرة سليمة وهذا أعلى الطبقات وهذا هو الذي أقبل على ربه وأصغى إلى حججه وبيناته فصار عنده علم صحيح وفطرة سليمة .

القسم الثاني :

من ليس عنده علم لكن عنده فطرة سليمة وهو العامي من الموحدين .

القسم الثالث :

من ليس عنده فطرة سليمة ولا علم صحيح وإنما عنده سراب لا حقيقة له ، فهذا يهزم أمام العامي فكيف أمام العالم الذي عنده علم صحيح وفطرة سليمة ؟ فهذا مما يدلك على أن تعلم العلم النافع يكون سلاحا للمؤمن أمام أعداء الله ورسوله .

---

(١) سورة الصافات آية : ١٧٣ .

غلبة جند الله بالحجة واللسان كما هم الغالبون بالسيف والسنان

فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما هم الغالبون بالسيف والسنان .

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ [(1)] أضاف الجند إليه سبحانه وتعالى ، وجند الله هم المؤمنون ، يقال لهم جند الله ، ويقال لهم حزب الله كما في قوله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ ﴾ [(2)] إلى قوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [(3)] .

فهم حزب الله وجند الله ، والجند جمع جندي وهو المقاتل والمدافع عن دين الله ، أضافهم إلى نفسه تشريفا لهم ، وجعل لهم الغلبة بالحجة والسلاح .

جند الله هم الغالبون بالحجة واللسان يعني بالعلم والمعرفة ومجادلة أهل الباطل ، فما تقابل أهل حق وأهل باطل في خصومة إلا تغلب أهل الحق على أهل الباطل في الخصومات والمناظرات دائما وأبدا ، فهم الغالبون بالحجة مع المبطلين كما أنم الغالبون بالسيف والسنان في المعارك ، إذا تقابل الجندان المسلمون والكفار فإنه ينتصر المسلمون على الكفار إذا توفرت شروط النصر فيهم بأن توكلوا على الله واعتصموا بالله وأطاعوا الله ورسوله ، فإن حصل فيهم خلل لحقت بم الهزيمة كما حصل للصحابة في وقعة أحد لما عصوا أمر الرسول ﷺ ونزلوا من الجبل الذي قال لهم : ﴿ لا ت لوا منه سواء انتصرنا أو هزمنا ﴾ ، فلما خالفوا ونزلوا من الجبل حلت الهزيمة بالمسلمين [(4)] .

---

(١) سورة الصافات آية : ١٧٣ .

(٢) سورة المجادلة آية : ٢٢ .

(٣) سورة المجادلة آية : ٢٢ .

(٤) (انظر صحيح الإمام البخاري ٢٦/٤٨ كتاب الجهاد والسير باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه وقال تعالى : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ وقال قتادة الريح الحرب من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه) .

الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح

وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح .

هذا هو الواقع فالموحد الذي يسلك الطريق ويواجه الكفار ويقول أنا أدعو إلى الله وليس عنده علم لو يقف أمامه واحد من عوامهم ويلقي عليه شبهة ما استطاع الجواب . فهذا مما يوجب على طلبة العلم وعلى الدعاة إلى الله خصوصا أن يتفقهوا في دين الله وأن يتعلموا حجج الله وبراهينه وأن يطلعوا على ما عند الخصوم والكفار والمنافقين من الباطل ؛ من أجل أن يدحضوه ويكونوا على معرفة به ، والنبي ﷺ لما أرسل معاذا إلى اليمن قال له : ﴿ إنك تأتي قوما من أهل الكتاب ﴾ [(1)] (رواه الإمام البخاري في صحيحه ١٢٥/٢ كتاب الزكاة باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه .) من أجل أن يستعد لأن الذين أمامه أهل كتاب وأهل علم وعندهم حجج وعندهم شبهات وعندهم تلبيس ، فلا بد أن يكون معاذ رضي الله عنه على استعداد من أجل أن يقوم بالدعوة ويرد الباطل ، ثم قال له : ﴿ فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﴾ [(2)] فهذا مما يؤكد على الموحدين عموما وعلى طلبة العلم خصوصا وعلى الدعاة إلى الله بصفة أخص أن يتعلموا ما يدفعون به الباطل وينصرون به الحق وإلا فإنهم سينهزمون أمام أي شبهة تعرض لهم ، والمشكلة إذا عجز الداعية إلى الله أن يجيب على شبه الملبس أمام الناس أو أجابه بجهل ، وهذا أشد .

ولا يتعارض هذا مع قول الشيخ : والعامي من الموحدين يغلب ألفا من علماء المشركين ؛ لأن العامي الموحد وإن كان كذلك فعليه الخوف من شرهم وأخذ الحذر منهم بتعلم العلم النافع .

---

(١) البخاري المغازي (٤٠٩٠) ، مسلم الإيمان (١٩) ، الترمذي الزكاة (٦٢٥) ، النسائي الزكاة (٢٤٣٥) ، أبو داود الزكاة (١٥٨٤) ، ابن ماجه الزكاة (١٧٨٣) ، أحمد (٢٣٣/١) ، الدارمي الزكاة (١٦١٤) .

(٢) مسلم الإيمان (١٩) ، الترمذي الزكاة (٦٢٥) ، النسائي الزكاة (٢٤٣٥) ، أبو داود الزكاة (١٥٨٤) ، ابن ماجه الزكاة (١٧٨٣) ، أحمد (٢٣٣/١) ، الدارمي الزكاة (١٦١٤) .

....

وقد استشكل بعض الإخوان هذه العبارة ، وهي قول الشيخ : والعامي من الموحدين يغلب ألفا من علماء هؤلاء المشركين ، مع قوله : وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح ، والجواب عن هذا الإشكال أن الشيخ رحمه الله يقصد أن العامي عنده فطرة سليمة يستنكر بها الباطل ، أما علماء الضلال ففطرهم فاسدة وحججهم واهية فالعامي يغلبهم بالفطرة السليمة من حيث الجملة لا من حيث التفاصيل .

فالعامي الموحد أحسن حالا من علماء الكلام والمنطق فكتاب الله ما ترك شيئا نحتاج إليه من أمور ديننا إلا وبينه لنا لكن يحتاج منا إلى تفقه وتعلم ولو كان عندك سلاح ولكن لا تعرف تشغيله فإنه لا يدفع عنك العدو وكذلك القرآن لا ينفع إذا كان مهجورا وكان الإقبال على غيره من العلوم .

من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله تبيانا لكل شيء

وقد من الله تعالى علينا بكتاب الذي جعله ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (١) .

فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (٢) **، قال بعض المفسرين : هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة .**

هذه قاعدة معروفة لأن الله جل وعلا يقول عن القرآن : ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٣) ويقول : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (٤) فلا يوجد شبهة في الدنيا أو باطل في الدنيا يدلي به كافر أو ملحد إلا وفي القرآن ما يرد عليه ، لكن لا يتبين هذا إلا بمعرفة القرآن والتفقه فيه ودراسته حق الدراسة حتى يعرف ما فيه من الكنوز وما فيه من السلاح وما فيه من الذخيرة التي نقاوم بها أعداءنا فنقبل على كتاب الله حفظا وتفهما وتلاوة وتدبرا وعملا حتى نكون مسلحين بهذا السلاح ، أما مجرد وجود القرآن عندنا من غير أن نعتني به وندرسه فلا يكفي ، وأهل الكتاب ضلوا وكفروا وعندهم التوراة والإنجيل لما تركوا تعلمهما والعمل بهما .

لكن لابد من دراسة القرآن على ضوء السنة النبوية وتفسير السلف الصالح ، لا على ضوء الدراسات المعاصرة المبنية على التخرص والجهل أو ما يسمونه بالإعجاز العلمي .

فليس هذا خاصا بالرسول ﷺ وأهل زمانه مع القرآن بل هذا عام لكل أمته إلى أن تقوم الساعة لكن يحتاج إلى عناية بالقرآن ودراسة للقرآن كما ينبغي ، لأن فيه بيان الحق والرد على أهل الباطل .

---

(١) سورة النحل آية : ٨٩ .
(٢) سورة الفرقان آية : ٣٣ .
(٣) سورة النحل آية : ٨٩ .
(٤) سورة الفرقان آية : ٣٣ .

الرد على أهل الباطل إجمالا وتفصيلا

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جوابا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا .

لما ذكر لك هذه القاعدة العظيمة وهو أنه لا يأتي مبطل بشبهته إلا وفي القرآن ما يبين بطلانها وأن ذلك مستمر إلى يوم القيامة ، دخل في التمثيل من الواقع الذي جرى للشيخ - رحمه الله - في وقته مع خصومه ، ومن هنا إلى آخر الكتاب كله كشف شبهات يعترضون بها على الشيخ وهو يجيبهم عنها من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ ويدحض حججهم وبذلك نصره الله عليهم وأبطل كيدهم .

فنقول : جواب أهل الباطل من طريقين مجمل ومفصل .

المجمل هو القاعدة العامة في جواب أهل الباطل على اختلاف أصنافهم ، وفي أي زمان ومكان ، والمفصل هو الرد على كل شبهة على حدة ، فإذا عرفت المجمل والمفصل في رد الشبهات صار عندك سلاح لمنازلة المشركين والمبطلين .

الجواب المجمل

أما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها وذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾ (١)

فهذا هو الرد المجمل على الشبهات قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ (٢) يعني القرآن ﴿ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ (٣) المحكم هو الذي لا يحتاج في بيانه إلى غيره .

فالقرآن منه آيات على هذا الشكل ﴿ مُّحۡكَمَٰتٌ ﴾ (٤) يعني بينات واضحات في معانيها لا تحتاج إلى غيرها ، ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ (٥) أم الشيء هو الأصل الذي يرجع إليه ، فالآيات المحكمات هن الأصل الذي يرجع إليه ، ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾ (٦) المتشابه هو الذي يحتاج لبيان معانيه إلى غيره فيرد إلى المحكم ، ومن المتشابه المحتمل لمعاني متعددة ويحتاج إلى غيره في بيان المراد منه ، ومنه المطلق ومنه المنسوخ .

وقد ذكر تعالى موقف الناس من هذين القسمين المحكم والمتشابه فقال : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ﴾ (٧) يأخذون الآيات غير الواضحة أو الآيات المحتملة ويستدلون بها على ما يريدون مع أنها محتملة ليست نصا فيما يقولون ، لكن هم يريدون التلبيس على الناس يقولون نحن استدللنا بالقرآن فيأخذون الآيات التي لا يتضح

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧ .
(٢) سورة آل عمران آية : ٧ .
(٣) سورة آل عمران آية : ٧ .
(٤) سورة آل عمران آية : ٧ .
(٥) سورة آل عمران آية : ٧ .
(٦) سورة آل عمران آية : ٧ .
(٧) سورة آل عمران آية : ٧ .

....

معناها بنفسها أو الآيات المحتملة لعدة معان فيستدلون بها على ما يريدون ، ﴿ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ (١) أي التشكيك والتضليل أو (ابتغاء تأويله) التأويل يطلق على معنيين كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالته التدمرية (٢) .

المعنى الأول : أن المراد به التفسير وهذا هو المعروف عند المتقدمين ؛ ولذلك تجد ابن جرير الطبري في تفسيره يقول : القول في تأويل قوله تعالى أي في تفسيره فإن كان هذا هو المقصود في الآية : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (٣) فإنه يعطف الراسخون في العلم على لفظ الجلالة هكذا ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ (٤) يعني والراسخون في العلم يعلمون تأويله وهو التفسير وذلك برده إلى المحكم الذي يبين المراد منه .

فتفسير القرآن على هذا الوجه لا يعلمه إلا الله وأهل العلم المختصون وأما العوام والجهال فلا يعلمون تفسيره ، وأهل الزيغ يأخذون المتشابه ولا يردونه إلى المحكم ويقطعون بعض القرآن عن بعض فيأخذون بعض الآيات ويتركون البعض الآخر .

أما المعنى الثاني : للتأويل فهو الحقيقة التي يؤول إليها الشيء ، وما يصير إليه في المستقبل ، مثل حقائق ما في الجنة من أعناب ونخيل وفواكه ولبن وخمر وعسل وأشياء لا يعلم حقائقها إلا الله سبحانه وتعالى ، لأنها من علم الغيب ، وكذلك كيفية أسماء الله وصفاته لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى فالتأويل على هذا المعنى ما يؤول إليه الشيء في المستقبل فإذا أريد هذا المعنى تعين الوقف في الآية على لفظ الجلالة ؛ لأنه لا يعلم تأويله على هذا الوجه إلا هو سبحانه .

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧ .

(٢) (التدمرية ص٩٠-٨ ، وما بعدها : تحقيق الدكتور محمد بن عودة السعوي) .

(٣) سورة آل عمران آية : ٧ .

(٤) سورة آل عمران آية : ٧ .

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : ﴿ إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذين سمى الله ، فاحذروهم ﴾ [(١)] .

(رواه الإمام البخاري في صحيحه ١٦٥/٥ ، ١٦٦ كتاب التفسير (سورة آل عمران) باب منه آيات محكمات .

ورواه الإمام مسلم في صحيحه ٢٠٥٣/٤ كتاب العلم باب (١) النهي عن اتباع متشابه القرآن ، والتحذير من متبعيه ، والنهي عن الاختلاف في القرآن ، حديث رقم (٢٦٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها .) صح عن النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أنه قال : ﴿ إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ﴾ [(٢)] أي من القرآن والسنة ويأخذون بالنصوص المملة ويتركون النصوص المفصلة ﴿ فأولئك الذين سمى الله ﴾ [(٣)] في هذه الآية : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ﴾ [(٤)]

(فاحذروهم) أي احذروا أصحاب هذه الطريقة لا يلبسوا عليكم أمر دينكم .

فهذا فيه التحذير من علماء الضلال ومن المبتدعة لئلا يلبسوا علينا أمر ديننا ، فهؤلاء من الذين ﴿ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [(٥)] .

---

(١) البخاري تفسير القرآن (٤٢٧٣) ، مسلم العلم (٢٦٦٥) ، الترمذي تفسير القرآن (٢٩٩٤) ، أبو داود السنة (٤٥٩٨) ، ابن ماجه المقدمة (٤٧) ، أحمد (٤٨/٦) ، الدارمي المقدمة (١٤٥) .

(٢) البخاري تفسير القرآن (٤٢٧٣) ، مسلم العلم (٢٦٦٥) ، الترمذي تفسير القرآن (٢٩٩٤) ، أبو داود السنة (٤٥٩٨) ، ابن ماجه المقدمة (٤٧) ، أحمد (٤٨/٦) ، الدارمي المقدمة (١٤٥) .

(٣) البخاري تفسير القرآن (٤٢٧٣) ، مسلم العلم (٢٦٦٥) ، الترمذي تفسير القرآن (٢٩٩٤) ، أبو داود السنة (٤٥٩٨) ، ابن ماجه المقدمة (٤٧) ، أحمد (٢٥٦/٦) ، الدارمي المقدمة (١٤٥) .

(٤) سورة آل عمران آية : ٧ .

(٥) سورة البقرة آية : ٢٧ .

مثال ذلك : إذا قال لك بعض المشركين : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ (١) **وإن الشفاعة حق ، أو إن الأنبياء لهم جاه عند الله ، أو ذكر كلاما للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره فجاوبه بقولك : إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أن الله تعالى ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم :** ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ (٢) **هذا أمر محكم بين ، لا يقدر أحد أن يغير معناه .**

وما ذكرت لي أيها المشرك في القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض ، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله ﷻ .

وهذا جواب سديد ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله فلا تستهن به فإنه كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾ (٣) .

أي إذا قال لك واحد من علماء المشركين الذين يتعلقون بالأولياء ويطلبون منهم المدد ويستغيثون بهم كما هو الحال والواقع الآن عند عباد القبور ويقولون إن الله جل وعلا يقول : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ (٤) .

وهؤلاء أولياء والنبي ﷺ أخبر أن الصالحين يشفعون ، وأن الأولياء يشفعون ، والرسل يشفعون فالجواب أن الشفاعة حق لا شك في ذلك ، ولكنها كما ذكر الله لابد لها من شرطين :

الإذن للشافع أن يشفع .

وأن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد .

---

(١) سورة يونس آية : ٦٢ .

(٢) سورة يونس آية : ١٨ .

(٣) سورة فصلت آية : ٣٥ .

(٤) سورة يونس آية : ٦٢ .

....

ولا شك أن الله سبحانه وعد الأولياء أنم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، لكن من الأولياء ؟ هل الأولياء طائفة مخصوصة من الناس عليهم عمائمهم ولباس خاص ؟ أو الأولياء الذين بني على قبورهم قباب ؟ ليس كذلك ؛ لأن الله سبحانه بينهم بعد هذه الآية مباشرة حيث قال : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [1] .

فكل مؤمن تقي فهو ولي لله ، ليست الولاية خاصة بطائفة معينة أو أشخاص معينين لهم لباس خاص ولهم سمات خاصة أو على قبورهم قباب وزخرفات ، الأولياء كل مؤمن تقي فإنه ولي الله بنص هذه الآية ، والولاية تختلف باختلاف الإيمان والتقوى ، منهم من هو ولي كامل الولاية ، ومنهم من هو ولي دون ذلك بحسب إيمانه وبحسب تقواه ، فليست الولاية خاصة بما تزعمون من هؤلاء الأشخاص أو هؤلاء المقبورين والنبي ﷺ يقول : ﴿ رب أشعث مدفوع بالأبواب لو اقسم على الله لأبره ﴾ [2] (رواه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٢٤/٤) كتاب البر والصلة والآداب باب فضل الضعفاء والخاملين . حديث رقم (١٣٨) (٢٦٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه) .

فقد يكون الولي غير معروف ولا له مكانة عند الناس ، هذا من ناحية .

ومن الناحية الثانية لو ثبت أنه ولي لله ﷻ فإن هذا لا يعطيه شيئا من الربوبية ولا شيئا من حق الله ، لأنه عبد الله محتاج إلى ربه ﷻ ولا يملك من الأمر شيئا ، لا يخلق ولا يرزق فليس المعنى أنه إذا كان وليا أننا نتعلق به ونـ ل حاجاتنا به ونستغيث به ونطلب منه لأن الله قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [4] ، لا من الأولياء ولا غيرهم فالله لا يرضى بذا سبحانه وتعالى فليس معنى قوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ

(١) سورة يونس آية : ٦٣ .
(٢) مسلم البر والصلة والآداب (٢٦٢٢) .
(٣) سورة النساء آية : ٤٨ .
(٤) سورة النساء آية : ٣٦ .

....

﴿ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [1] أنهم يملكون شيئا من الربوبية وأنهم ينفعون ويضرون وأنهم يعطون الشفاعة وأنهم وأنهم . . كما يزعم القبوريون .

فمن تعلق بالأولياء وطلب منهم الشفاعة وهم أموات ، أو طلب منهم الإغاثة وهم أموات ، أو طلب منهم قضاء الحاجات وهم في قبورهم فإنه مثل المشركين الأولين الذين قال الله فيهم : ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ [2] هم يقولون نحن لا نعتقد أنهم يخلقون ويرزقون وإنما من أجل أن نجعلهم وسائط بيننا وبين الله لأنهم أولياء ونحن مقصرون ونحن مذنبون فهؤلاء بصلاحهم وجاههم ومكانتهم عند الله يشفعون لنا والله رد عليهم فقال : ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [3] فسمى هذا شركا ، وقال في آية أخرى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [4] يريدون الوساطة فقط عند الله سبحانه وتعالى ، وإلا فإنهم معترفون أن الله هو الخالق الرازق المحي المميت فيعترفون بتوحيد الربوبية تماما كما ذكر الله عنهم ، وإنما قصدوا بفعلهم هذا وساطة هؤلاء الصالحين عند الله فنذروا لهم وذبحوا لهم واستغاثوا بهم : يا سيدي اشفع لي عند الله ، افعل كذا ، هذا الذي يقولونه عند القبور هل هذا يختلف عما قاله المشركون من قبل ، الذين رد عليهم جل وعلا بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾ [5] حكم عليهم بالكذب وحكم عليهم بالكفر فعملهم هذا كفر وكذب ، وفي سورة يونس نزه نفسه عن ذلك فقال : ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [6] سماه شركا .

---

(١) سورة يونس آية : ٦٢ .
(٢) سورة يونس آية : ١٨ .
(٣) سورة يونس آية : ١٨ .
(٤) سورة الزمر آية : ٣ .
(٥) سورة الزمر آية : ٣ .
(٦) سورة يونس آية : ١٨ .

فالأولياء عباد صالحون لهم قدرهم ونحترمهم ونحبهم ونقتدي بهم في الأعمال الصالحة لكن ليس لهم شركة مع الله سبحانه وتعالى إنما هم مثلنا محتاجون إلى الله ﷻ فقراء إلى الله ﷻ ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (1) هذا عام ﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (2) كل الخلق فقراء إلى الله ﷻ بما فيهم الأنبياء والرسل ، بما فيهم الملائكة عليهم السلام كلهم فقراء إلى الله سبحانه وتعالى ، فهذا مما يزيل اللبس لأن هؤلاء يأخذون بعض القرآن ويستدلون به ويتركون البعض الآخر ، يأخذون الآية التي تمدح الأولياء وتثني عليهم ويتركون الآية الأخرى التي تبين أنهم لا يعبدون من دون الله ﷻ وأن من طلب منهم شيئا وهم أموات فإنه مشرك كافر ، يتركون هذه الآيات ، فهذا من الزيغ الذي ذكره الله سبحانه وتعالى ، فلتكن عندك هذه القاعدة أن الإنسان مهما بلغ من الصلاح والكرامة والمنزلة عند الله فإنه ليس له من الربوبية شيء وإنه لا يدعى مع الله وإنه لا يكون له شيء من العبادة وهو لا يرضى بذلك . فالأولياء والصالحون على الحقيقة لا يرضون بذلك وينهون عنه أشد النهي إنما يرضى بذلك الطواغيت الذين يدعون الناس إلى عبادة أنفسهم ، أما أولياء الله فحاشاهم من هذا لا يرضون به وإنما يرضى به أولياء الشيطان هذا معنى قول الشيخ رحمه الله .

لكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض ، وأن كلام الرسول ﷺ لا يخالف كلام الله ، فيجب رد النصوص بعضها إلى بعض ، وتفسير بعضها ببعض ؛ حتى يتضح المطلوب ، وهذا كما قال الشيخ جواب سديد تجب العناية به لأنه مبني على كتاب الله فمن وفق له فهو ذو حظ عظيم .

---

(1) سورة فاطر آية : ١٥ .

(2) سورة فاطر آية : ١٥ .

الجواب المفصل

وأما الجواب المفصل : فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل ، يصدون بها الناس عنه :

منها قولهم : نحن لا نشرك بالله ، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا ﷺ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، فضلا عن عبد القادر أو غيره ، ولكن أنا مذنب ، والصالحون لهم جاه عند الله وأطلب من الله بهم . فجاوبه بما تقدم وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت ، ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئا وإنما أرادوا الجاه والشفاعة ، واقرأ عليهم ما ذكر الله في كتابه ووضحه .

فإن قال : هذه الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام ، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام أم كيف تجعلون الأنبياء أصناما ؟ فجاوبه بما تقدم ، فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله ، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة ، ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام ، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ [1] **الآية ، ويدعون عيسى ابن مريم وأمه وقد قال الله تعالى :** ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [2] **، واذكر له قوله تعالى :** ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ

(١) سورة الإسراء آية : ٥٧ .

(٢) سورة المائدة الآيتان : ٧٥ - ٧٦ .

يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[1] ، **وقوله سبحانه وتعالى :** ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾[2] **فقل له : أعرفت أن الله كفر من قصد الأصنام ، وكفر أيضا من قصد الصالحين ، وقاتلهم رسول الله ﷺ .**

فإن قال : الكفار يريدون منهم ، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر ، لا أريد إلا منه ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم .

فالجواب : أن هذا قول الكفار سواء بسواء ، واقرأ عليه قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[3] **وقوله تعالى :** ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾[4] **. واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم فإذا عرفت أن الله وضحها في كتابه ، وفهمتها فهما جيدا فما بعدها أيسر منها .**

ذكر الشيخ - رحمه الله - في هذا المقطع ثلاث شبهات للمشركين هي من أهم ما عندهم ، فإذا عرفت الإجابة الصحيحة عنها فما بعدها من الشبهات أيسر منها :

الشبهة الأولى :

أنم يقولون : نحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ ونعلم أنه لا ينفع ولا يضر إلا الله سبحانه وتعالى ، وأن النبي ﷺ لا يملك نفعا ولا ضرا فضلا عن عبد القادر يعني عبد القادر الجيلاني ، لكن هؤلاء لهم جاه عند الله فنطلب من الله بم ،

---

(١) سورة سبأ الآيتان : ٤٠ - ٤١ .

(٢) سورة المائدة آية : ١١٦ .

(٣) سورة الزمر آية : ٣ .

(٤) سورة يونس آية : ١٨ .

يعني نجعلهم وسائط بيننا وبين الله لما لهم من الفضل .

فالجواب سهل جدا من كتاب الله بأن تقول إن المشركين مع أصنامهم ما كانوا يعتقدون فيها أنا تخلق وترزق وتنفع وتضر وإنما اتخذوها وسائط بينهم وبين الله وهذا واضح في قوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [(١)] .

نزه نفسه عن فعلهم وسماه شركا مع أنم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعتقدون أنم لا ينفعون ولا يضرون وإنما قصدهم التعلق بالجاه فقط ، فالآيات تدل على أن المشركين معترفون بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله سبحانه وتعالى ، وأن أصنامهم ومعبوداتم لا تخلق ولا ترزق ولا تدبر مع الله وإنما اتخذوها وسائط ، ولا فرق بينكم وبينهم .

وإذا كنت مذنبا فلماذا لا تستغفر الله وتطلب من الله ، والله جل وعلا أمرك بالاستغفار ، ووعدك بالتوبة ، وأن يقبل منك ويغفر ذنوبك ، ولم يقل إذا أذنبت فاذهب إلى قبر الولي الفلاني أو العبد الصالح الفلاني وتوسل به واجعله واسطة بيني وبينك .

وتقول أيضا : هؤلاء إذا كان لهم جاه عند الله فإن جاههم لهم وصلاحهم لهم ، وأنت ليس لك إلا عملك ، وصلاح الصالحين لهم ، وجاههم عند الله لهم ، ما علاقتك بعمل فلان وصلاح فلان كل له عمله ، ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [(٢)] ، ﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [(٣)]

فجاههم وصلاحهم لهم ولا ينفعك إذا كنت مذنبا حتى والدك أقرب الناس إليك وولدك

(١) سورة يونس آية : ١٨ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٣٤ .
(٣) سورة يس آية : ٥٤ .

....

لا يستطيع ولو كان من أصلح الناس أن ينفعك ، ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ [(1)] ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [(2)] ، ﴿ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ ﴾ [(3)] ، ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [(4)] .

الشبهة الثانية : إذا قرأت عليه قوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [(5)] وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [(6)] وبينت له أن المشركين ما أرادوا من عبدوهم إلا الشفاعة وقال لك هذه الآيات نزلت في الذين يعبدون الأصنام وأنا لست أعبد الأصنام وإنما أتوسل إليه بالصالحين فكيف تجعل الصالحين أصناما ؟

والجواب عن هذا واضح جدا وهو أن الله ذكر أن المشركين منهم من يعبد الأصنام ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين ، وسوى الله بينهم في الحكم ولم يفرق بينهم وأنت فرقت بينهم ، في ظنك أن عبادة الأصنام لا تجوز وأن عبادة الصالحين تجوز إذا كانت بقصد التوسط ، والدليل على هذا أن الله ذكر أنواعا من المشركين فمنهم من يعبد الصالحين قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم

---

(١) سورة الانفطار آية : ١٩ .
(٢) سورة المدثر آية : ٣٨ .
(٣) سورة لقمان آية : ٣٣ .
(٤) سورة عبس الآيات : ٣٤ - ٣٦ .
(٥) سورة يونس آية : ١٨ .
(٦) سورة الزمر آية : ٣ .

....

﴿ مُّؤۡمِنُونَ ﴾[1] في يوم القيامة الله جل وعلا يسأل الملائكة وهو أعلم سبحانه وتعالى لكن لأجل إبطال حجة هؤلاء ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴾[2] فدل على أن منهم من يعبد الملائكة لكن الملائكة تتبرأ منهم يوم القيامة ، وتقول : نحن ما أمرناهم بذلك ولا رضينا بذلك ، ﴿ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ ﴾[3] يعني الشياطين هي التي أمرتم بعبادة الملائكة لأن الملائكة لا تأمر إلا بعبادة الله ﴿ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4] فدل على أن منهم من يعبد الملائكة ، والملائكة أصلح الصالحين ، كما قال تعالى فيهم : ﴿ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴾[5] ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين كالمسيح ابن مريم وأمه .

وإذا بطل التوسل بالملائكة والأنبياء ودعاؤهم من دون الله بطل التوسل بغيرهم من الصالحين ودعاؤهم من دون الله كما قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾[6] لأن الواجب إخلاص العبادة لله ﷻ بجميع أنواعها من الدعاء والذبح والنذر وغير ذلك .

فمن ذبح لغير الله ودعا غير الله كان مشركا خارجا من الدين .

---

(١) سورة سبأ الآيتان : ٤٠ - ٤١ .
(٢) سورة سبأ آية : ٤٠ .
(٣) سورة سبأ آية : ٤١ .
(٤) سورة الأنبياء آية : ٢٩ .
(٥) سورة الأنبياء آية : ٢٧ .
(٦) سورة الزمر آية : ٣ .

الشبهة الثالثة : إذا سلم بأن الدعاء لغير الله شرك ولكنه قال أنا لا أدعو النبي ﷺ ولا غيره وهذا الذي أفعله ليس دعاء وإنما هو طلب لشفاعة النبي ﷺ وهل تنكر شفاعة النبي ﷺ ! فإنك حينئذ تدخل معه في خصومة أخرى ، وشبهة أخرى وهي أنه سمى دعاء النبي ﷺ والاستغاثة به طلبا للشفاعة ولم يسمه دعاء ، ويقول إن النبي ﷺ أعطي الشفاعة فأنا أطلب منه الشفاعة التي أعطيها .

فتقول له : أنا لا أنكر الشفاعة ، وأقر أن شفاعة النبي ﷺ حق ، وأنه شافع مشفع ، أنا لا أنكر هذا ولكن الشفاعة لا تطلب من النبي ﷺ وهو ميت وإنما تطلب من الله لأن الشفاعة ملك لله ﷻ قال الله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ (١) فجميع أنواع الشفاعة ملك لله وما دامت ملكا لله فإنا لا تطلب إلا ممن يملكها وهو الله سبحانه وتعالى ، والنبي ﷺ لا يملك الشفاعة ولا أحد يملك الشفاعة إلا بإذن الله وإنما هي ملك لله عز وجل . وأيضا الشفاعة لا تنفع كل أحد وإنما تنفع أهل التوحيد وأنت لست من أهل التوحيد لأنك تدعو غير الله فالشفاعة لها شرطان :

الشرط الأول : أن تطلب من الله سبحانه وتعالى ولا تطلب من غيره .

الشرط الثاني : أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد لا من أهل الشرك والكفر ، والدليل على الشرط الثاني قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ (٢) وهو لا يرضى إلا عن أهل التوحيد ، ودليل الشرط الأول قوله : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ (٣) لا الملائكة ولا الرسل ولا الأولياء ولا الصالحون لا أحد يشفع عند الله إلا

(١) سورة الزمر آية : ٤٤ .
(٢) سورة الأنبياء آية : ٢٨ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

....

بعد أن يأذن الله : ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [1] .

فلا تطلب الشفاعة من المخلوق الميت ، وإنما تطلب الشفاعة من الله فتقول : اللهم شفع في نبيك ، لا تطلبها من الأموات ، وهذا الذي تقول إنه طلب للشفاعة هو الذي كفر الله به المشركين ، فإن المشركين حينما لجؤوا إلى الأولياء والصالحين وإلى الملائكة وإلى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة ، كفرهم الله بذلك فقال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [2] فهذا الذي تقوله هو الذي كفر الله به المشركين ، وهو عبادة الأولياء والصالحين طلبا لشفاعتهم .

---

(١) سورة النجم آية : ٢٦ .

(٢) سورة يونس آية : ١٨ .

الرد على من زعم أن الدعاء ليس بعبادة

إخلاص العبادة لله

فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله ، وهذا الالتجاء إليهم ودعاؤهم ليس بعبادة

يعني إذا كان يعترف أن العبادة حق لله ﷻ وأنه لا يجوز عبادة غير الله ولكنه يقول الالتجاء ليس من العبادة ؛ فهو جائز .

فإنك تقول له : الالتجاء إلى الله عبادة ، والالتجاء إلى غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك ؛ لأن من التجأ إلى غير الله في الشدائد فقد أشرك مع الله فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى ، لأنه هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، وهو الملجأ سبحانه ؛ ولذا لجأ إليه النبي ﷺ حيث يقول : ﴿ لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ﴾ [1] (رواه الإمام البخاري في صحيحه ١٤٧/٧ كتاب الدعوات باب النوم على الشق الأيمن من حديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه) . ﴿ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ ﴾ [3] .

(١) البخاري الدعوات (٥٩٥٢) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧١٠) ، الترمذي الدعوات (٣٥٧٤) ، أبو داود الأدب (٥٠٤٦) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٧٦) ، أحمد (٢٩٦/٤) ، الدارمي الاستئذان (٢٦٨٣) .

(٢) سورة الجن آية : ٢٢ .

(٣) سورة المؤمنون آية : ٨٨ .

فقل له : أنت تقر أن الله افترض عليك إخلاص العبادة لله وهو حقه عليك ، فإذا قال : نعم . فقل له : بين لي **هذا الذي** فرض **عليك وهو إخلاص العبادة** لله **وحده وهو حقه عليك ، فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها** فبينها **له بقولك : قال الله تعالى :** ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [1] .

فإذا أعلمته بهذا فقل له : هل علمت أن هذا عبادة لله **؟ فلا بد أن يقول : نعم . والدعاء مخ العبادة : فقل له : إذا أقررت أنه عبادة ودعوت** الله **ليلا ونهارا خوفا وطمعا ،** ثم **دعوت** في **تلك الحاجة نبيا أو غيره هل أشركت** في **عبادة** الله **غيره ؟ فلا بد أن يقول : نعم .**

أي تسأله عن معنى العبادة وما الفرق بينهما وبين الالتجاء .

وقل له : هل العبادة واجبة أو مستحبة ؟ فلا بد أن يعترف أن العبادة أمر واجب وحتم على العباد ، وأنها حق الله على العباد ، فإذا اعترف بهذا فقل له : فسر لي العبادة ما معناها وبين لي ما أنواعها ، ما دمت أنك اعترفت أن العبادة لله وأنها واجبة على العبد فإنه يجب عليك أن تعرف معناها ، وأن تعرف أنواعها وإلا فكيف يوجب الله عليك شيئا وأنت تجهله ولا تعرفه ، فإنه لا يعرف العبادة ولا يعرف أنواعها ، وهذه آفة الجهل ، ومن هنا يتعين على العباد أن يتعلموا ما أوجب الله عليهم وما فرضه الله عليهم حتى يؤدوه على وجهه الصحيح ويتجنبوا ما يخل به وما يبطله ، أما أن تعبد الله على جهل فإن هذه طريقة النصارى الضالين يعبدون الله على جهل وضلال ، والله أمرك أن تسأله أن يجنبك طريقهم فتقول : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [2] فالضالون هم الذين يعبدون الله على غير علم وعلى غير معرفة بالعبادة ، وإنما يعبدون الله بالعادات والتقاليد وما وجدوا عليه آباءهم

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٥ .

(٢) سورة الفاتحة الآيتان : ٦ - ٧ .

....

وأجدادهم دون أن يرجعوا إلى ما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب وهذا هو سبب الضلال ، والالتجاء هو طلب الحماية من أمر مخوف لا يدفعه إلا الله ، فهو نوع من أنواع العبادة ، والله سبحانه يجير ولا يجار عليه ويعيذ من استعاذ به ، فمن التجأ إلى ميت فقد عبده من دون الله ، وكذلك من أعظم أنواع العبادة الدعاء حيث قال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [1] وأنت بالتجائك إلى غير الله قد دعوت غير الله وهذا شرك .

(١) سورة الأعراف آية : ٥٥ .

الصلاة لله والذبح له سبحانه وتعالى

فقل له : فإذا عملت بقول الله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [1] **وأطعت الله ونحرت له ، هل هذا عبادة ؟ فلا بد أن يقول : نعم ، فقل له : فإذا نحرت لمخلوق ، نبي أو جني أو غيرهما ، هل أشركت في هذه العبادة غير الله ؟ فلا بد أن يقر ويقول : نعم .**

أي لا بد إذا تلوت عليه الآيات والأحاديث بأن الدعاء عبادة لابد أن يعترف فتقول له لو دعوت الله في الليل والنهار لكنك في بعض الأحيان تدعو غير الله هل تكون مشركا ؟ فلا بد أن يعترف ويقول إنه مشرك لأنه دعا غير الله ومن دعا غير الله فهو مشرك .

وإذا كان من دعا غير الله ولو مرة واحدة في العمر يكون مشركا مع أنه يدعو الله في الليل والنهار فكيف بالذي يلهج دائما بذلك ويقول يا حسين ، يا بدوي ، يا عبد القادر ، يا فلان فيصدر منه الشرك كثيرا .

فإذا كان من ذبح لغير الله أو صلى لغير الله يكون مشركا فكيف بمن يلجأ إلى غير الله في كشف الشدائد ألا يكون مشركا ؟ بلى ؛ لأن الباب واحد ، وأنواع العبادة كلها بابا واحد لا يجوز أن يخلص لله في بعضها ويشرك بالله في البعض الآخر .

---

(١) سورة الكوثر آية : ٢ .

كيفية عبادة المشركين للملائكة والصالحين واللات وغير ذلك

وقل له أيضا : المشركون الذين نزل فيهم القرآن ، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟ فلا بد أن يقول : نعم ، فقل له : وهل كانت عبادتم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك . وإلا فهم مقرون أنم عبيده وتحت قهره وأن الله هو الذي يدبر الأمر ولكن دعوهم والتجؤوا إليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهر جدا .

أي أن المشركين الأولين ما كان شركهم إلا في هذه الأمور وقد نزل القرآن في الإنكار عليهم والأمر بقتالهم وإباحة أموالهم ودمائهم ، ما كانوا مع أصنامهم يعتقدون أنا تخلق وترزق وتحي وتميت وما كانوا يدعونا إلا من أجل الشفاعة ، فكذلك عباد القبور اليوم يدعون الأضرحة والأولياء والصالحين ولا يعتقدون فيهم أنم يخلقون ويرزقون ، وأنم خلقوا السماوات والأرض ، وإنما اتخذوهم لقضاء الحاجات ، والتوسل بم إلى الله ليشفعوا لهم ويقربوهم إليه زلفى ، والالتجاء إليهم في كشف الكرب والشدائد .

الفرق بين الشفاعة الشرعية والشركية

فإن قال : أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها ؟ فقل : لا أنكرها ولا أتبرأ منها ، بل هو ﷺ الشافع والمشفع وأرجو شفاعته ، ولكن الشفاعة كلها لله تعالى كما قال تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ ﴾ (1) **ولا تكون إلا بعد إذن الله كما قال تعالى :** ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ (2) **ولا يشفع النبي ﷺ في أحد إلا بعد أن يأذن الله فيه ، كما قال تعالى :** ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ (3) **وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد ، كما قال تعالى :** ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (4) **فإذا كانت الشفاعة كلها لله ولا تكون إلا من بعد إذنه ، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن الله إلا لأهل التوحيد تبين لك أن الشفاعة كلها لله وأطلبها منه فأقول : اللهم لا تحرمني شفاعته ، اللهم شفعه في ، وأمثال هذا .**

شفاعة النبي ﷺ لا ينكرها إلا أهل الباطل ، والفرق الضالة كالخوارج والمعتزلة ، أما أهل السنة والجماعة فإن من أصول عقيدتم الإقرار بشفاعة النبي ﷺ وشفاعة الأولياء والصالحين ، ولكنها لا تطلب منهم وهم أموات وإنما تطلب من الله لأن أحدا لا يشفع عند الله إلا من بعد إذنه ، ولا بد أن يكون المشفوع فيه ممن يرضى الله عنه من أهل التوحيد ، والنبي ﷺ وهو أعظم الشفعاء يوم القيامة ، إذا تقدم له أهل المحشر وطلبوا منه أن يشفع لهم عند الله في فصل القضاء بينهم ، فإنه لا يشفع ابتداء ، وإنما يستأذن ربه ويطلب منه أن يأذن له بالشفاعة فيخر ساجدا بين يدي ربه ويدعوه ويتضرع إليه ويستمر

---

(1) سورة الزمر آية : ٤٤ .
(2) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .
(3) سورة الأنبياء آية : ٢٨ .
(4) سورة آل عمران آية : ٨٥ .

....

حتى يقال له : ﴿ يا محمد ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ﴾ [(١)] [(٢)] .

ولكن كيف تطلب الشفاعة ؟ .

الشفاعة تطلب من الله ولا تطلب من المخلوق فتقول : اللهم لا تحرمني شفاعة نبيك ، اللهم شفعه في ، وأمثال هذا ، والنبي ﷺ بعد موته لا يطلب منه شيء لا شفاعة ولا غيرها لأن طلب الأشياء من الأموات شرك أكبر .

(١) البخاري التوحيد (٧٠٧٢) ، مسلم الإيمان (١٩٣) ، ابن ماجه الزهد (٤٣١٢) ، أحمد (١١٦/٣) ، الدارمي المقدمة (٥٢) .

(٢) (انظر صحيح البخاري ١٠٥/٤ ، ١٠٦ كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى : ﴿ إنا أرسلنا نوحا إلى قومه ﴾ ، وانظر مسلم ١٨٤/١-١٨٦ كتاب الإيمان من حديث أبي هريرةباب أدنى أهل الجنة م لة فيها كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه) .

فإن قال : النبي ﷺ أعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله تعالى .

فالجواب : أن الله أعطاه الشفاعة وناك عن هذا فقال تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [1] **فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك فأطعه في قوله :** ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [2] ، **وأيضا فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ فصح أن الملائكة يشفعون ، والأفراط [3] يشفعون ، والأولياء يشفعون ، أتقول : إن الله أعطاهم الشفاعة وأطلبها منهم ، فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه . وإن قلت : لا بطل قولك : أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله .**

أي ليس من لازم إعطاء النبي ﷺ وغيره الشفاعة جواز طلبها منهم وهم أموات بدليل أن الله سبحانه وتعالى نفي أن يشفع أحد عنده إلا بإذنه ورضاه عن المشفوع فيه ، ولأن طلب الشفاعة من الأموات شرك والله قد حرم الشرك ، وأحبط عمل صاحبه ، وحرم عليه الجنة ، وقد أنكر سبحانه على الذين يدعون غيره ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونزه نفسه عن ذلك وسماه شركا ، وأيضا إعطاء الله الشفاعة ليس خاصا بالنبي ﷺ فهل كل من أعطي الشفاعة تطلب منه من دون الله كما كان المشركون الأولون يفعلون ذلك ، ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [4] .

---

(١) سورة الجن آية : ١٨ .
(٢) سورة الجن آية : ١٨ .
(٣) (الأفراط : هم الأولاد الصغار الذين ماتوا قبل آبائهم . انظر لسان العرب ٣٦٦/٧ مادة فرط) .
(٤) سورة يونس آية : ١٨ .

إثبات أن الالتجاء إلى الصالحين شرك

فإن قال : أنا لا أشرك بالله شيئا حاشا وكلا ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك . فقل له : إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنى ، وتقر أن الله لا يغفره ، فما هذا الأمر الذي حرمه الله وذكر أنه لا يغفره ، فإنه لا يدري ، فقل له : كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه ؟ كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه ؟ أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا ؟ فإن قال : الشرك عبادة الأصنام ، ونحن لا نعبد الأصنام فقل له : ما معنى عبادة الأصنام ؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها ؟ فهذا يكذبه القرآن ، وإن قال : هو من قصد خشبة أو حجرا أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له يقولون : إنه يقربنا إلى الله زلفى ويدفع الله عنا ببركته ويعطينا ببركته ، فقل : صدقت ، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها ، فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام فهو المطلوب .

ويقال له أيضا : قولك : (الشرك عبادة الأصنام) هل مرادك أن الشرك مخصوص بذا ، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك ؟ فهذا يرده ما ذكر الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين ، فلا بد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحدا من الصالحين فهذا هو الشرك المذكور في القرآن وهذا هو المطلوب .

وسر المسألة أنه إذا قال : أنا لا أشرك بالله ، فقل له : وما الشرك بالله ، فسره لي ؟ فإن قال : هو عبادة الأصنام ، فقل : وما معنى عبادة الأصنام فسرها لي ؟ فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله ، فقل : ما معنى عبادة الله فسرها لي ؟ فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب ، وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئا وهو لا يعرفه ؟

وإن فسر ذلك بغير معناه ، بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان ، وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه ، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ويصيحون فيه كما صاح إخوانم حيث قالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [1] .

يبين الشيخ رحمه الله أن الشرك ليس مقصورا على عبادة الأصنام لأن المشركين الأولين منهم من يعبد الملائكة ، والملائكة أصلح الصالحين كما قال تعالى : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ ﴾ [2] .

ومنهم من يعبد الصالحين وذلك في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [3] قيل إنا نزلت فيمن يعبد عزيرا والمسيح من الأنبياء ، وقيل : نزلت في قوم كانوا يعبدون الجن فأسلم الجن ، ولم يعلم من يعبدهم من الإنس أنم أسلموا .

والمقصود من ذلك أن الله ذكر أن المشركين الأولين منهم من يعبد الأصنام والأشجار والأحجار ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين ، وسوى بينهم في الحكم وحكم عليهم بالكفر والشرك ، وأنت أيها المشبه تريد أن تفرق بين من عبد الأصنام ومن عبد الصالحين فتفرق بين ما جمع الله وهذا من المحادة لله سبحانه وتعالى ، هذا وجه رد هذه الشبهة حيث تبين أنه لا فرق بين شرك الأولين وشرك هؤلاء الذين يدعون الإسلام وهم يعبدون القبور والأولياء والصالحين لأنم لا يعرفون أن هذا شرك ، وهذه نتيجة الجهل بعقيدة التوحيد الصحيحة والجهل بما يضادها من الشرك فإن من لا يعرف الشرك يقع فيه وهو لا يدري ، ومن هنا تتضح ضرورة العناية بدراسة العقيدة الصحيحة وما يضادها .

---

(١) سورة ص آية : ٥ .
(٢) سورة الأنبياء الآيات : ٢٦ - ٢٩ .
(٣) سورة الإسراء آية : ٥٧ .

إثبات أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا

الأمر الأول : أن شرك الأولين إنما يحصل في حال الرخاء

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد هو الشرك الذي نزل فيه القرآن وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين : أحدهما : أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء ، وأما في الشدة فيخلصون لله الدين كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ (١) **وقوله :** ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (٢) **وقال تعالى :** ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾ (٣) **وقوله :** ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٤)

يقول الشيخ رحمه الله : إذا عرفت مما سبق أنه لا فرق بين شرك أهل الجاهلية الذي نزل فيه القرآن والذي قاتل رسول الله ﷺ وأصحابه وشرك هؤلاء المنتسبين إلى الإسلام من عباد القبور وأصحاب الطرق الصوفية المنحرفة ونحوهم لا فرق بين شرك هؤلاء وهؤلاء إلا في الاسم حيث يسمونه الاعتقاد فقط ، فاعلم أن شرك هؤلاء المتأخرين المنتسبين إلى الإسلام أشد وأغلظ من شرك المتقدمين من أهل الجاهلية من وجهين :

الأول : أن شرك الأولين إنما يحصل في حال الرخاء ، وأما في حال الشدة فإنهم يتركون الشرك ويخلصون الدعاء لله لعلمهم أنه لا ينجي من الشدائد إلا الله سبحانه ،

---

(١) سورة الإسراء آية : ٦٧ .
(٢) سورة الأنعام الآيتان : ٤٠ - ٤١ .
(٣) سورة الزمر آية : ٨ .
(٤) سورة لقمان آية : ٣٢ .

....

كما ذكر الله عنهم في الآيات التي ساقها الشيخ وغيرها ؛ وأما هؤلاء المشركون المنتسبون إلى الإسلام فشركهم دائم في الرخاء والشدة ، بل إن شركهم في الشدة يزيد على شركهم في الرخاء ، بحيث إذا وقعوا في خطر وشدة ، ارتفعت أصواتهم بالشرك ودعاء غير الله .

هذا هو الوجه الأول من وجوه الفرق بين المشركين الأولين ومشركي زماننا .

والوجه الثاني : سيأتي .

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه وهي أن المشركين الذي قاتلهم رسول الله يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرخاء ، وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له ، وينسون ساداتم تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما راسخا ؟! والله المستعان .

يقول رحمه الله : إنه لا يدرك الفرق بين شرك الأولين وشرك المتأخرين في أن شرك المتأخرين أغلظ وأشد ، إلا من فهم الآيات القرآنية التي توضح ذلك ومن لم يدرك الفرق فإنه راجع لسوء فهمه .

الأمر الثاني : أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله

والأمر الثاني أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله إما أنبياء وإما أولياء ، وإما ملائكة ، أو يدعون أشجارا أو أحجارا مطيعة لله ليست عاصية وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس ، والذين يدعونهم هم الذين يحكمون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك .

الوجه الثاني : من أوجه الفرق أن المشركين الأولين يدعون أناسا فيهم صلاح وتقرب إلى الله من الملائكة والأنبياء والصالحين أو يدعون أشجارا أو أحجارا ليست عاصية لله ، وأما المشركون المتأخرون فيدعون فجرة الخلق وأشدهم كفرا وفسقا ممن يزعمون لهم الكرامات وسقوط التكاليف عنهم من ملاحدة الصوفية الذين يستحلون المحرمات ويتركون الواجبات كالبدوي والحلاج وابن عربي وأضرابهم من أئمة الملاحدة ، فيعبدونهم وهم يشاهدونهم يفعلون الفواحش ويتركون الفرائض ويزعمون أن هذا من كرامتهم وفضلهم حيث سقطت عنهم التكاليف .

والذي يعتقد في **الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون** ممن **يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به**

هذه نتيجة المقارنة بين شرك الأولين وشرك المتأخرين المنتسبين إلى الإسلام وهي أن الشرك بعبادة الصالحين والمخلوقات التي لا تعصي أخف من الشرك بعبادة الفجرة والملاحدة والعصاة لأن ذلك يدل على تزكيتهم وموافقتهم على كفرهم وفجورهم واعتباره صلاحا وكرامة وأي محادة لله أشد من هذه المحادة نسأل الله العافية .

الرد على من زعم عدم تكفير من أدى بعض واجبات الدين ولو أتى بما ينافي التوحيد

شبهة تكفير من نطق الشهادتين

كفر من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء وكذبه في شيء

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء ، فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونا على ما ذكرنا وهي من أعظم شبههم فأصغ سمعك لجوابا ، وهي أنم يقولون إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ، ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث ، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرا ، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ونصدق القرآن ، ونؤمن بالبعث ، ونصلي ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك ؟

فالجواب أن لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء فإنه كافر لم يدخل في الإسلام وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه ، كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة أو أقر بذا كله وجحد الصوم أو أقر بذا كله وجحد الحج ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج أنزل الله في حقهم : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [1] .

ومن أقر بذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع وحل دمه وماله كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ ﴾ [2] .

(١) سورة آل عمران آية : ٩٧ .

(٢) سورة النساء الآيتان : ١٥٠ - ١٥١ .

فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا زالت هذه الشبهة ، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا .

ويقال أيضا : إذا كنت تقر أن من صدق الرسول ﷺ في كل شيء وجحد وجوب الصلاة فهو كافر حلال الدم والمال بالإجماع ، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث ، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق بالباقي وهنا لا تختلف المذاهب فيه وقد نطق به القرآن كما قدمنا ، فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فكيف إذا جحد الإنسان شيئا من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر ؟ ! سبحانه الله ما أعجب هذا الجهل !

ويقال أيضا : هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويؤذنون ويصلون ، فإن قال إنهم يقولون إن مسليمة نبي ، قلنا : هذا هو المطلوب ، إذا كان من رفع رجلا إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابيا أو نبيا إلى رتبة جبار السماوات والأرض سبحان الله ما أعظم شأنه : ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [1] .

ويقال أيضا : الذين حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار كلهم يدعون الإسلام وهم من أصحاب علي رضي الله عنه وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما ، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم ؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين ؟ أتظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر ؟

(١) سورة الروم آية : ٥٩ .

ويقال أيضا : بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويدعون الإسلام ، ويصلون الجمعة والجماعة ، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم ، وأن بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين .

ويقال أيضا : إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب " باب حكم المرتد " وهو المسلم يكفر بعد إسلامه ثم ذكروا أنواعا كثيرة ، كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله ، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو يذكرها على وجه المزح واللعب .

ويقال أيضا : الذين قال الله فيهم : ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ ﴾ [1] .

أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ ويجاهدون معهم ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون .

وكذلك الذين قال الله فيهم : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [2] فهؤلاء الذي صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح [3] فتأمل هذه الشبهة هي قولهم تكفرون من المسلمين أناسا

(١) سورة التوبة آية : ٧٤ .
(٢) سورة التوبة الآيتان : ٦٥ - ٦٦ .
(٣) (تقدم العزو إليها) .

يشهدون أن لا إله إلا الله **ويصلون ويصومون** ثم **تأمل جوابا فإنه من أنفع ما** في **هذه الأوراق .**

ما زال الشيخ رحمه الله يواصل الرد على شبهات المشبهين في مسألة الشرك والتوحيد ، فانتهى إلى هذه الشبهة العظيمة التي هي من أعظم شبههم وأخطرها ، ألا وهي قولهم إن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وصلى وصام وحج وأدى الأعمال ، فإنه لا يكفر ولو فعل ما فعل من أنواع الردة ، أما الذين نزل فيهم القرآن وهم المشركون الأولون فإنهم ليسوا مثل هؤلاء ، فهم لم يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ولم يدخلوا في الإسلام ، فهم لا يؤمنون بالله ولا بالرسول ولا بالإسلام ولا بالقرآن ، أما هؤلاء فأظهروا الإيمان بالبعث ويصلون ويصومون ويحجون ويزكون ويذكرون الله كثيرا ، فالشيخ رحمه الله عند هذه الشبهة خاصة قال : أصغ سمعك لجوابا فإنا من أعظم شبههم .

الرد على هذه الشبهة

ثم رد الشيخ على هذه الشبهة من سبعة وجوه مهمة :

الوجه الأول : كفر من آمن ببعض الأحكام الشرعية وكفر ببعضها الآخر :

أنه من آمن ببعض الأحكام الشرعية وكفر ببعضها الآخر فهو كافر بالجميع ، وهؤلاء أنكروا التوحيد الذي جاءت به الرسل وهو إفراد الله بالعبادة ، فهؤلاء لم يفردوا الله بالعبادة وإنما أشركوا معه غيره من الأولياء والصالحين ، فالإسلام لا يقبل التجزئة ولا التفرقة ، وأعظم الإسلام التوحيد ، وهو دعوة جميع الرسل ، وهؤلاء جحدوا أعظم شيء وهو توحيد العبادة ، وقالوا لا بأس أن ينذر الإنسان لفلان ويذبح لفلان لأنه ولي ، والولي ينفع ويضر مما هو مثل فعل المشركين الأولين .

الوجه الثاني : تكفير العلماء في كل زمان من آمن ببعض وكفر ببعض :

ذكر الشيخ رحمه الله وقائع في التاريخ الإسلامي تدل على أن العلماء في كل زمان يكفرون من آمن ببعض وكفر ببعض ، منها أن الصحابة ومن بعدهم قاتلوا الذين يتظاهرون بالشهادتين ويصلون ويصومون ويحجون لكن لما فعلوا شيئا من الشرك أو جحدوا شيئا من الدين قاتلوهم واستحلوا دماءهم وأموالهم وذلك كما يلي :

أولا : بنو حنيفة اعتقدوا أن مسيلمة رسول الله والذين جحدوا وجوب الزكاة بعد وفاة النبي ﷺ .

وثانيا : في عهد علي رضي الله عنه كفروا الغلاة الذين قالوا إن عليا هو الله مع أنم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويصلون ويصومون وهم في جند علي رضي الله عنه لكن لما أظهروا الغلو حرقهم علي رضي الله عنه مع أنم يشهدون أن لا إله إلا الله ولكنه حرقهم لما اعتقدوا أن شخصا له حق في الألوهية كفرهم وحرقهم بالنار .

ثالثا : في عهد العباسيين ظهرت فرقة العبيديين ، وهم طائفة الشيعة الإسماعيلية لأنم ينتسبون إلى إسماعيل بن محمد بن جعفر ، ولذلك سموا بالإسماعيلية وسموا الفاطمية لأنم

....

يزعمون أنهم من ذرية فاطمة ولذلك يقال لهم الفاطميون ، وفي الحقيقة أنهم من اليهود أظهروا الإسلام ولكن ظهر منهم كفريات وفي النهاية ادعى حكامهم الألوهية مثل الحاكم العبيدي .

فالصحابة قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويصومون ويحجون لكن لما ادعوا أن مسيلمة نبي كفروهم لأن من اعتقد في شخص بعد محمد ﷺ أنه نبي فقد كفر وإن كان يصلي ويصوم ؛ ولذلك حكم المسلمون اليوم بكفر القاديانية الذين يدعون نبوة أحمد القادياني ، فإذا كان من رفع رجلا إلى مرتبة النبي كفر فكيف لا يكفر من رفع رجلا إلى مرتبة رب العالمين ، وصرف له أنواعا من العبادة كالذبح والنذر والدعاء والاستغاثة وغير ذلك ؟ وقول الشيخ كما رفع تاجا وشمسان ويوسف ناس في زمانه غلا فيهم الناس بحجة أنهم أولياء ولهم شعوذات وخوارق وهم على طريقة الحلاج وابن عربي .

الوجه الثالث : أن العلماء رحمهم الله عقدوا بابا في كتب الفقه سموه باب الردة :

أن العلماء رحمهم الله عقدوا بابا في كتب الفقه سموه باب الردة ، وذكروا فيه نواقض الإسلام ، وذكروا أشياء قد تكون صغيرة في أعين الناس ولكن حكموا أن من فعلها أو اعتقدها يكفر مع أنه يصلي ويصوم ويعبد الله ، ولم يحصروا حصول الردة فيما ذكرتم .

الوجه الرابع : حكم الله بكفر أناس لقولهم كلمة تكلموا بها أبطلت إسلامهم وإيمانهم :

أن الله حكم بكفر أناس لقولهم كلمة تكلموا بها أبطلت إسلامهم وإيمانهم كما قال تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ ﴾ (١) فكفرهم بكلمة مع كونهم مع رسول الله يصلون ويجاهدون .

---

(١) سورة التوبة آية : ٧٤ .

....

الوجه الخامس : تكفير الله أناسا بسبب كلام قالوه على وجه المزاح واللعب :

أن الله كفر أناسا بسبب كلام قالوه على وجه المزاح واللعب وأنزل في شأنهم : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [1] مع أنهم يصلون وقد غزوا مع الرسول ﷺ في غزوة تبوك ، لكن لما قالوا هذه الكلمة كفروا بعد إيمانهم ولم ينفعهم أنهم يصلون ويصومون ويجاهدون .

فهذه الوجوه فيها إبطال هذه الشبهة وفي الحقيقة أنها من أعظم الشبه ولكن جوابها واضح ولله الحمد .

الوجه السادس : أن شرك الأولين يتضمن تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وعدم تصديقه :

إن قولهم إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرا ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك - يجاب عنه أن الرجل إذا صدق الله في شيء وكذبه في شيء فهو كافر مرتد عن الإسلام ، كمن آمن ببعض القرآن وجحد بعضه وكمن أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة أو أقر بهذا كله وجحد الصوم أو أقر بهذا كله وجحد الحج ، وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

(١) سورة التوبة الآيتان : ٦٥ - ٦٦ .

الوجه السابع : كفر من جحد وجوب الحج وإن نطق بالشهادتين :

أن من جحد وجوب الحج كفر وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويصلي ويصوم قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [(1)] إلى قوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [(2)] فدلت الآيات على أن من جحد وجوب الحج كفر وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله فكيف بمن جحد التوحيد وأجاز عبادة القبور .

ومن الدليل على ذلك أيضا ما حكى الله تعالى عن بني إسرائيل مع علمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ ﴾ [(3)] وقول أناس من الصحابة ﴿ اجعل لنا ذات أنواط ﴾ [(4)] (رواه الترمذي في سننه ٦/٣٤٣-٣٣٤ كتاب الفتن باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم حديث رقم (٢١٨١) ورواه الإمام أحمد في مسنده ٥/٢١٨ حديث رقم (٢١٩٤٧-٢١٩٥٠-٢١٩٥٢) بألفاظ متقاربة ، وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٤/٣٢٥ كلهم من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه) فحلف النبي ﷺ أن هذا مثل قول بني إسرائيل لموسى : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا ﴾ [(5)] .

---

(١) سورة آل عمران آية : ٩٦ .
(٢) سورة آل عمران آية : ٩٧ .
(٣) سورة الأعراف آية : ١٣٨ .
(٤) الترمذي الفتن (٢١٨٠) ، أحمد (٥/٢١٨) .
(٥) سورة الأعراف آية : ١٣٨ .

من وقع من المسلمين في نوع من الشرك جهلا ثم تاب

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة وهي أنهم يقولون : إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ ﴿ اجعل لنا ذات أنواط ﴾ [(١)] لم يكفروا .

فالجواب أن تقول : إن بني إسرائيل لم يفعلوا ، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا ، وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب .

أي من الأدلة على أن من ارتكب ناقضا من نواقض الإسلام يكفر ولو كان يشهد أن لا إله إلا الله ويصلي ويصوم إلى غير ذلك من الأعمال ، ما قصه الله عن بني إسرائيل حين طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلها كآلهة المشركين ، وقصة الذين طلبوا من النبي محمد ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط ، وأن النبيين الكريمين أنكرا ذلك واعتبراه شركا يخرجهم من الملة لو فعلوه مع أنهم يؤمنون بالنبيين الكريمين ويجاهدون معهما ، ثم أورد الشيخ اعتراضا على هذا الاستدلال وهو أن بني إسرائيل الذين طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلها لم يكفروا ، وكذلك الذين طلبوا من محمد ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط لم يكفروا ، وأجاب عن هذا الاعتراض بأن الفريقين لم ينفذا ما قالا ، ولو فعلا لكفرا ، ولكن لما نهيا عن ذلك وبين لهما أنه كفر تجنبوه وانتهوا عنه ، ومحل الشاهد من القصتين أن من فعل الشرك كفر وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله ويؤمن بالأنبياء ويعمل الأعمال الصالحة .

---

(١) الترمذي الفتن (٢١٨٠) ، أحمد (٢١٨/٥) .

ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري بها فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجهال : التوحيد فهمناه ، أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان ، وتفيد أيضا أن المسلم المتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري فنبه على ذلك وتاب من ساعته فإنه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ وتفيد أيضا أن لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديدا كما فعل رسول الله ﷺ .

هذه القصة فيها فوائد : **الأولى** : الحذر من الشرك وأنه قد يدب إلى المسلمين عن طريق التقليد والتشبه بالكفار ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [1] (اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط) ففي ذلك التحذير من مجاراة الكفار والتحذير من الفتن التي تنجم عن ذلك ، ومن ذلك عبادة القبور التي أحدثوها وفتنوا بها وصاروا يدعون الناس إليها ، والخليل عليه الصلاة والسلام الذي كسر الأصنام بيده وأوذي وألقي في النار بسبب إنكار الشرك يقول : ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ ﴾ [2] خاف على نفسه عليه الصلاة والسلام من الفتنة ، وخاف على ذريته من الفتنة ، إذا كيف يقول جاهل : إن التوحيد يمكن تعلمه في خمس دقائق والمهم عنده البحث في أمور السياسة والكلام في الحكام وفقه الواقع كما يقولون ، ومعناه رصد الوقائع الدولية وتحليلاتها والانشغال بها عن التفقه في الدين .

ومنهم من ينتقد مقررات التوحيد في المدارس والمعاهد والكليات ويقول : لا داعي لهذه الكثافة في مقررات التوحيد ، الناس مسلمون وأولاد فطرة وبإمكان الطلاب أن يتعلموا التوحيد من البيئة الاجتماعية . . إلى آخر هذيانهم الفارغ . . ولو سألت واحدا من هؤلاء عن أبسط مسألة في التوحيد ما أجابك بجواب صحيح ، أعني الذين يقولون هذه المقالة .

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٣٨ .

(٢) سورة إبراهيم الآيتان : ٣٥ - ٣٦ .

....

والفائدة الثانية : وهي فائدة عظيمة أن من نطق بكلمة الكفر عن جهل وهو لا يدري ثم نبه وتاب من ساعته فإنه لا يكفر بدليل قصة بني إسرائيل مع موسى عليه السلام وبعض الصحابة مع النبي ﷺ فهو لا يكفر بذلك لكن بهذين الشرطين :

الشرط الأول : أن يكون قال هذا الكلام عن جهل ولم يتعمد .

الشرط الثاني : أن يتوب من ساعته ويترك هذا الشيء إذا تبين له أنه كفر .

فهذا لا يضره الكلام الذي قاله ، وهذا جواب عن شبهتهم التي سبقت وهي أنهم يقولون إن بني إسرائيل لم يكفروا ، وأصحاب محمد ﷺ لم يكفروا بهذه الكلمة ، نقول لهم إنهم لم يكفروا لأنهم قالوها عن جهل ونبهوا وتركوها وتابوا إلى الله ﷻ أما أنتم فتنبهون بالليل والنهار وتصرون على دعاء القبور والصالحين ولا تصغون أسماعكم لما يقال لكم تكبرا وعنادا .

والفائدة الثالثة : تفيد هذه القصة أن من لم يكفر بكلمة الكفر إذا قالها جهلا فإنه لا يتساهل معه بل يغلظ عليه في الإنكار كما غلظ موسى عليه السلام على قومه وكما غلظ محمد ﷺ على أصحابه الذين قالوا هذه المقالة من باب الزجر والتحذير لاجتناب ذلك والحذر منه .

الرد على من زعم الاكتفاء بقول لا إله إلا الله ولو أتى بما يناقضها

ولهم شبهة أخرى يقولون إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله وقال : ﴿ أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ﴾ [(١)] (رواه الإمام البخاري في صحيحه ٥/٨٨ كتاب المغازي باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينه من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما) . وكذلك قوله ﷺ : ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ﴾ [(٢)] (رواه الإمام البخاري في صحيحه ٨/١٤٠-١٤١ كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ . . . من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه). وأحاديث أخر في الكف عمن قالها .

ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل .

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال : معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون لا إله إلا الله وأن أصحاب النبي ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويصلون ويدعون الإسلام ، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله ، وأن من جحد شيئا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله .

فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئا من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه ؟ ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث .

فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه إلا خوفا على دمه وماله ، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك وأنزل الله في ذلك : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [(٣)] . أي فتثبتوا .

---

(١) البخاري الديات (٦٤٧٨) ، مسلم الإيمان (٩٦) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤٣) ، أحمد (٢٠٠/٥) .

(٢) البخاري الصلاة (٣٨٥) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٨) ، النسائي تحريم الدم (٣٩٦٧) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤١) ، أحمد (٢٢٥/٣) .

(٣) سورة النساء آية : ٩٤ .

فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت ، فإن تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله : (فتبينوا) ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى .

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه : أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه إلا إن تبين منه ما يناقض ذلك ، والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ الذي قال : ﴿ أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ؟ ! ﴾ [1] (تقدم تخريجه) وقال : ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ﴾ [2] (تقدم تخريجه) هو الذي قال في الخوارج : ﴿ أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ﴾ [3] (رواه أبو داود في سننه ٣٤٣/٤ ، ٣٤٤ كتاب السنة باب في قتال الخوارج حديث رقم (٤٧٦٤-٤٧٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري وعلي بن أبي طالب ، ورواه النسائي في سننه ١١٧/٧-١٢١ كتاب (٣٧) تحريم الدين باب (٢٦) من شهر سيفه ثم وضعه في الناس حديث رقم (٤١٠١ ، ٤١٠٢ ، ٤١٠٣) من حديث أبي سعيد الخدري وعلي بن أبي طالب وأبي برزة رضي الله تعالى عنهم ، وانظر مسند الإمام أحمد ٤٠٤/١ حديث رقم (٣٨٣١) من حديث عبد الله بن مسعود بنحوه) . مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتليلا .

حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم . وهم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة .

كذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة ، وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله

(١) البخاري الديات (٦٤٧٨) ، مسلم الإيمان (٩٦) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤٣) ، أحمد (٢٠٠/٥) .

(٢) البخاري الصلاة (٣٨٥) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٨) ، النسائي تحريم الدم (٣٩٦٧) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤١) ، أحمد (٢٢٥/٣) .

(٣) البخاري التوحيد (٦٩٩٥) ، مسلم الزكاة (١٠٦٤) ، النسائي الزكاة (٢٥٧٨) ، أبو داود السنة (٤٧٦٤) ، ابن ماجه المقدمة (١٦٩) ، أحمد (٦٨/٣) .

تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [1] **وكان الرجل كاذبا عليهم** [2] **(انظر تفسير ابن كثير ٤/٢١٠-٢١١) ، فكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث ما ذكرناه .**

هذه شبهة من شبه المشركين عباد القبور الذين يدعون الإسلام ويزعمون أن عبادة القبور والاستغاثة بالأموات ودعاء الغائبين لتفريج الكربات - أن هذه أمور لا تضر ولا تخرج من الإسلام ، ما دام صاحبها يقول لا إله إلا الله بدليل أن النبي ﷺ أنكر على أسامة بن زيد رضي الله عنهما لما قتل رجلا من المشركين أظهر الإسلام وقال لا إله إلا الله ، فقتله أسامة بعد ذلك ظانا أنه إنما قالها ليسلم من القتل ، فأنكر عليه النبي ﷺ فاستدلوا بهذه القصة على أن من قال لا إله إلا الله فهو مسلم ولو فعل ما يناقضها من أنواع الشرك الأكبر ، وكذلك استدلوا أيضا بقول النبي ﷺ : ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ﷻ ﴾ [3] (تقدم) قالوا فهذا دليل على أن من تلفظ بهذه الكلمة لا يقتل ولو فعل ما فعل من أنواع الشرك في العبادة مع الأموات والأضرحة وصرف العبادات لغير الله ما دام أنه يقول لا إله إلا الله .

هذا حاصل شبهتهم ، وهي شبهة خطيرة إذا سمعها الجاهل ربما تروج عليه لا سيما أنهم طلوها بطلاء خادع وهو الاستدلال بالأحاديث الصحيحة لكن في غير موضعها ، وقد أجاب الشيخ رحمه الله عن هذه الشبهة بستة أجوبة مجملها :

---

(١) سورة الحجرات آية : ٦ .

(٢) (انظر تفسير ابن كثير ٤/٢١٠-٢١١) .

(٣) البخاري الجهاد والسير (٢٧٨٦) ، مسلم الإيمان (٢١) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٦) ، النسائي تحريم الدم (٣٩٧١) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤٠) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٢٨) ، أحمد (١/١١) .

....

الجواب الأول : أن النبي ﷺ قاتل أناسا يقولون لا إله إلا الله ، فقاتل اليهود وهم يقولون لا إله إلا الله ، وقاتل الصحابة بني حنيفة وهم يقولون لا إله إلا الله لما ظهر منهم ما ينافي هذه الكلمة ، ولم تنفعهم هذه الكلمة ولم تكن مانعة من قتلهم .

والجواب الثاني : في بيان تناقض هؤلاء لأنهم يقولون من أنكر الصلاة أو الزكاة والحج أو أنكر البعث والنشور يكفر عندهم ، وأما من أنكر التوحيد فإنه لا يكفر عندهم .

والجواب الثالث : أن معنى حديث أسامة بن زيد ليس كما فهموا أن من قال لا إله إلا الله يكون مسلما ولو فعل الشرك والكفر ، وإنما معناه أن من قال لا إله إلا الله وجب الكف عنه حتى يظهر منه ما يخالف مدلول هذه الكلمة من كفر أو شرك .

والجواب الرابع : أن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ (١) .

فأمر سبحانه وتعالى بالتبين يعني التثبت بشأن من قال لا إله إلا الله فما فائدة التثبت إذا كان لا يقتل إذا قالها .

والجواب الخامس : أن النبي ﷺ أمر بقتل الخوارج وهم من أشد الناس عبادة وخوفا من الله وورعا ، بل هم تتلمذوا على الصحابة ومع هذا أمر بقتلهم لما فعلوا أشياء تتنافى مع الإسلام وهم يقولون لا إله إلا الله وهم أشد الناس عبادة وصلاة وتلاوة للقرآن .

والجواب السادس : قصة بني المصطلق وهم قبيلة دخلوا في الإسلام وأرسل إليهم النبي ﷺ المصدق لجباية الزكاة ولكنه لم يذهب إليهم بل رجع إلى النبي ﷺ وقال إنهم منعوا الزكاة فهم النبي ﷺ بغزوهم فأنزل الله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ (٢) .

(١) سورة الحجرات آية : ٦ .

(٢) سورة الحجرات آية : ٦ .

....

فالنبي ﷺ هم بغزوهم وقتالهم وهم يقولون لا إله إلا الله لماذا ؟ لما بلغه أنهم منعوا الزكاة ، فمنع الزكاة يتنافى مع قول لا إله إلا الله هذا ملخص أجوبة الشيخ رحمه الله عن هذه الشبهة الخطيرة .

الفرق بين الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه والاستغاثة بغيره

ولهم شبهة أخرى وهي ما ذكر النبي ﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ، ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ قالوا فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركا .

فالجواب أن نقول : سبحان من طبع على قلوب أعدائه ، فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها كما قال في قصة موسى : ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [1] .

وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب وغيرها من الأشياء التي يقدر عليها المخلوق ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونا عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله .

إذا ثبت ذلك ، فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة يراد منها أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف ، وهذا جائز في الدنيا والآخرة أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك وتقول له : ادع الله لي ، كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ذلك في حياته ، وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره ، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره ، فكيف بدعائه نفسه .

هذه شبهة أخرى من شبههم وهي أنهم يقولون إنه ثبت في الحديث الصحيح حديث الشفاعة العظمى (سيأتي) ، أن الناس يوم القيامة إذا طال عليهم الوقوف والقيام على أقدامهم خمسين ألف سنة ، والشمس قد دنت منهم فالخلائق كلهم مجموعون من أولهم إلى آخرهم في زحام شديد ، والشمس على رؤوسهم قريبة منهم وهم واقفون على أقدامهم ، فعندما يحصل لهم هذا الكرب يتذاكرون الشفاعة عند الله ﷻ فيرون أن الأنبياء

---

(١) سورة القصص آية : ١٥ .

....

هم أول الذين يشفعون عند الله ؛ فيأتون إلى آدم يطلبون منه أن يشفع عند الله لهم ليريحهم من الموقف فيعتذر عليه الصلاة والسلام بسبب ما حصل منه من الخطيئة مع أنه تاب منها وتاب الله عليه ، ولكن يستحي من الله ﷻ ثم يأتون إلى نوح أول الرسل فيعتذر ، ثم يأتون إلى موسى فيطلبون منه فيعتذر ، ثم يأتون إلى عيسى عليه السلام آخر أنبياء بني إسرائيل فيعتذر لأن الموقف موقف عظيم أمام الله سبحانه وتعالى ، ثم يأتون إلى محمد ﷺ فيقول ﷺ : ﴿ أنا لها ، أنا لها ﴾ [1] ، ثم يأتي ويسجد بين يدي ربه ويحمد الله ويثني عليه ويدعوه ويستمر ساجدا بين يدي ربه حتى يقال له : ﴿ يا محمد ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ﴾ [2] [3] لأنه لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه ، والرسول ما ذهب إلى الله وشفع ابتداء بل استأذن من ربه وسجد بين يديه حتى أذن له ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [4] فيطلب من الله أن يفصل بين عباده ويريحهم من الموقف فيستجيب الله شفاعة محمد ﷺ وهذه تسمى الشفاعة العظمى والمقام المحمود وهي قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [5] بمعنى أنه يحمده عليه الأولون والآخرون .

قال القبوريون : فهذا فيه جواز الاستغاثة بالأنبياء والأولياء والصالحين وأنتم تقولون لا يستغاث إلا بالله ، وقالوا فهذا يدل على أن طلب الشفاعة من الرسول ﷺ جائز حيا وميتا وكذلك غيره .

---

(١) البخاري التوحيد (٧٠٠٢) ، الترمذي تفسير القرآن (٣١٤٨) .

(٢) البخاري التوحيد (٧٠٧٢) ، مسلم الإيمان (١٩٣) ، ابن ماجه الزهد (٤٣١٢) ، أحمد (١١٦/٣) ، الدارمي المقدمة (٥٢) .

(٣) (رواه الإمام البخاري في صحيحه ١٧٢/٨-١٧٣ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه) .

(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(٥) سورة الإسراء آية : ٧٩ .

....

والجواب عن هذا كما يقول الشيخ إن هذا طلب من إنسان حي قادر على الدعاء وعلى الاستئذان بالشفاعة ، والطلب من الإنسان في حال حياته وقدرته ليس من الممنوع ، كما في قصة موسى : ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [(١)] ، وكما يستغيث الإنسان بإخوانه في الحرب وغيرها .

فهذا فيه دليل على أن الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه جائزة ، والذي يقع من الأمم يوم القيامة هو استغاثة بالحي وطلب الدعاء منه ، فيجوز أن تذهب إلى إنسان حي قادر يسمع كلامك وتقول يا فلان ادع الله لي بكذا وكذا ، والصحابة كانوا يعملون هذا مع النبي ﷺ في حياته وليس هذا من الشرك ، إنما الذي يكون شركا وأنكرناه هو الاستغاثة بالميت ، وهذا لا علاقة له بحديث الشفاعة لأنكم تستغيثون بأموات وتطلبون الشفاعة منهم ، والأموات لا يقدرون على شيء فلا يجوز أن يذهب إلى قبر يستنجد به ويدعوه أو يطلب منه الدعاء أو الشفاعة أو غير ذلك ، ففيه فرق بين عمل هؤلاء المشركين وبين ما في الحديث الصحيح وفي قصة موسى عليه الصلاة والسلام فبهذا التفصيل زالت هذه الشبهة والحمد لله .

---

(١) سورة القصص آية : ١٥ .

ولهم شبهة أخرى وهي قصة إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار اعترض له جبريل في الهواء فقال له : ألك حاجة ؟ فقال إبراهيم : أما إليك فلا [1] فقالوا : فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركا لم يعرضها على إبراهيم .

فالجواب : أن هذا من جنس الهيئة الأولى فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه فإنه كما قال الله تعالى فيه : ﴿ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ﴾ [2] فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ، ولو أمره أن يضع إبراهيم عليه السلام في مكان بعيد عنهم لفعل ، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل ، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلا محتاجا فيعرض عليه أن يقرضه أو أن يهبه شيئا يقضي به حاجته ، فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد ، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون ؟

هذه آخر الشبهات التي ذكرها الشيخ في هذه الرسالة العظيمة فأجاب عنها بجواب سديد موفق ، وهي أن عباد القبور الذين يطلبون المدد من الأموات ويستغيثون بم يقولون إن هذه الاستغاثة ليست شركا وذلك بدليل قصة جبريل عليه السلام مع إبراهيم عليه السلام حينما ألقي في النار ، فإن جبريل جاء إلى إبراهيم كما يروى [3] فقال جبريل لإبراهيم عليه السلام : هل لك من حاجة ؟ يعرض عليه المساعدة لإنقاذه ، وجبريل عليه السلام لا شك ذو قوة عظيمة ، وعنده قدرة على إنقاذ إبراهيم ، وقد وصفه الله ﷻ فقال : ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ ﴾ [4] وفي الآية الأخرى ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ [5] يعني قوة ، فعرض جبريل على إبراهيم أن يساعده في إخراجه من هذه الشدة ، فلما كان

---

(١) (ذكر هذا الأثر ابن كثير عن بعض السلف كما في البداية والنهاية ١٤٦/١ في قصة إبراهيم خليل الرحمن) .
(٢) سورة النجم آية : ٥ .
(٣) (وفي ثبوته نظر) .
(٤) سورة التكوير آية : ٢٠ .
(٥) سورة النجم آية : ٦ .

....

إبراهيم عظيم الثقة بالله ﷻ قال له : أما إليك فلا ، وأما إلى الله فنعم . فإبراهيم عليه السلام لم يرد أن يطلب من مخلوق أن ينقذه من هذه الشدة وإنما توجه إلى ربه كما صح في الحديث أنه قال : ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (١) (٢) .

فهذا من باب التوكل على الله ﷻ وتفويض الأمر إليه وهذه صفة أكمل الخلق إيمانا حيث إن إبراهيم رفض مساعدة المخلوق وقبل مساعدة الخالق ، لأن مساعدة المخلوق فيها منة وحاجة إلى المخلوق ، ومساعدة الخالق سبحانه وتعالى لا منة فيها لغير الله ، وهي فضل من الله سبحانه وتعالى ، وجبريل عرض على إبراهيم شيئا يقدر عليه ، وهو عرض من حي حاضر قادر كما يعرض الغني على الفقير مساعدته بالمال ، وليس هذا من جنس الاستغاثة بالأموات أو الغائبين الذين يستغيث بهم القبوريون ، فإن الأموات لا يستغاث بهم ، ولا يقدرون على ما طلب منهم ، ولا يسمعون دعاء من دعاهم كما قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٧٣ .

(٢) (رواه الإمام البخاري في صحيحه ١٧٢/٥ كتاب تفسير القرآن باب ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم . . ﴾ الآية من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه) .

(٣) سورة سبأ الآيتان : ٢٢ - ٢٣ .

(٤) سورة فاطر الآيتان : ١٣ - ١٤ .

وجوب تطبيق التوحيد بالقلب واللسان والجوارح إلا لعذر شرعي

ولنختم الكلام إن شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة جدا تفهم مما تقدم ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها فنقول : لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلما فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما ، وهذا يغلط فيه كثير من الناس ، يقولون هذا حق ، ونحن نفهم هذا ، ونشهد أنه الحق ولكن لا نقدر أن نفعله ، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم ، وغير ذلك من الأعذار ، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار كما قال تعالى : ﴿ ٱشْتَرَوْاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ (1) **وغير ذلك من الآيات كقوله :** ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ (2) **.**

فإن عمل بالتوحيد عملا ظاهرا وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه فهو منافق ، وهو شر من الكافر الخالص : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (3) **.**

وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة تبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس ، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة وترى من يعمل به ظاهرا لا باطنا فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه .

ختم الشيخ رحمه الله هذه الرسالة بمسألة عظيمة مهمة يجب تفهمها وتعقلها لأنه إذا فهمها الإنسان فإنه يدرك أخطاء الناس في العقيدة ، وهذه المسألة هي : أن التوحيد يكون بالقول والعمل والاعتقاد ، لابد من هذه الأمور الثلاثة فإذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة صار الإنسان موحدا مؤمنا بالله ورسوله ، وإذا اختل واحد منها لم يكن مؤمنا ولا موحدا ،

---

(1) سورة التوبة آية : ٩ .
(2) سورة البقرة آية : ١٤٦ .
(3) سورة النساء آية : ١٤٥ .

....

وهم في هذا أصناف : الصنف الأول من يعتقد التوحيد بقلبه ويعرف أنه لا إله إلا الله وأن عبادة ما سواه باطلة ، ولكنه لا يعمل به بجوارحه ، ولا يقر به بلسانه ؛ لطمع دنيوي فهذا كافر ، مثل فرعون فإن فرعون كان معترفا بالتوحيد في قلبه وأن ما جاء به موسى هو الحق ، ولكنه ترك العمل به وتظاهر بخلافه وجحده تكبرا وعنادا كما قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [(١)] .

وقال موسى عليه السلام لفرعون : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ [(٢)] لقد علمت أي عرفت بقلبك ما أنزل هذه الآيات التي جئتك بها إلا رب السماوات والأرض بصائر للناس ، فهذا دليل على أن فرعون كان مستيقنا بقلبه صدق ما جاء به موسى عليه السلام ، وإنما جحد ذلك وتظاهر بجحده كحال كفار قريش الذين قال الله فيهم : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [(٣)] دلت الآية على أن كفار قريش يصدقون بالرسول بقلوبهم ولكن يجحدون ذلك بظواهرهم وألسنتهم ، وكما قال الله سبحانه وتعالى في اليهود : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ ﴾ [(٤)] يعرفون هذا بقلوبهم ويتظاهرون بالكتمان والجحود مع تيقنهم في قلوبهم بأن محمدا رسول الله ، وأنه جاء بالحق من عند الله ﷻ ولكن منعهم الكبر والحسد من اتباعه ، واعتقادهم بقلوبهم لا ينفعهم فهم كفار مخلدون في النار .

---

(١) سورة النمل آية : ١٤ .
(٢) سورة الإسراء آية : ١٠٢ .
(٣) سورة الأنعام آية : ٣٣ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٤٦ .

....

وكثير من عباد القبور اليوم على هذا ، يقولون : نعرف أن الذي تقولون هو التوحيد ولكن ما نقدر أن نخالف أهل بلدنا لأن أهل بلدنا عندهم أضرحة واستغاثة بالأموات ولا نقدر أن نخالفهم ؛ لأجل أن نعيش معهم ، ولا نقدر على مجابة الناس فهم يوافقون الكفار والمشركين على عقائدهم ، إما أن يفعلوا مثل فعلهم وهم يعتقدون بطلان ذلك ، وإما أن لا ينكروا عليهم ولا يبينوا الحق بل ربما يدافعون عنهم ، وهذا هو واقعهم الآن ، ويقولون لمن دعاهم إلى الحق : هذا الرجل خارجي ، وهذا الرجل جاء بمذهب خامس ، وهم يعتقدون أن ما جاء به هو ما جاء به الرسول ﷺ وهو مقتضى الكتاب والسنة ، يعرفون هذا وإنما حملهم الحسد أو الكبر أو الطمع في أمور الدنيا لأنهم يظنون أنهم إذا وافقوا على هذا الحق وقبلوه سيخسرون رئاستهم ، ويخسرون أموالهم ، ويخسرون جاههم عند الناس .

والصنف الثاني من وافق في الظاهر ونطق بالتوحيد وقال هذا هو الصحيح وهذا هو الحق وصلى وصام وصار مع المسلمين لكن في قلبه لا يعتقد هذا ، ويعتقد أن هذا خرافات ، وأنه تقاليد بالية ، فهو لم يعمل به ولم يتكلم به إيمانا ، وإنما عمل به وتكلم به نفاقا ، كحالة المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار لأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً ﴾ (1) .

فالناس مع التوحيد ثلاثة أقسام :

القسم الأول : من يعرفه ويؤمن به باطنا ويجحده ظاهرا وينكره .

القسم الثاني : من يتكلم به ويعمل به ظاهرا وينكره ويكفر به باطنا ، وهم المنافقون .

القسم الثالث : من يعتقده باطنا ويعمل به ظاهرا وباطنا ، والقسمان الأولان كافران خاسران والقسم الثالث مؤمن مفلح .

---

(1) سورة المنافقون الآيتان : ١ - ٢ .

ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله ، أولاهما ما تقدم من قوله : ﴿ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ﴾ [1] **فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح ، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد ، أعظم ممن تكلم بكلمة يمزح بها .**

والآية الثانية قوله تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [2] .

فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئنا بالإيمان ، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعله خوفا أو مداراة أو مشحة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله ، أو فعله على وجه المزح أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره ، والآية تدل على هذا من جهتين :

الأولى من قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ﴾ [3] **فلم يستثن الله إلا المكره ، ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على العمل أو الكلام ، وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها .**

والثانية قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [4]

فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر ، وإنما سببه أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين ، والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

---

(١) سورة التوبة آية : ٦٦ .
(٢) سورة النحل الآيتان : ١٠٦ - ١٠٧ .
(٣) سورة النحل آية : ١٠٦ .
(٤) سورة النحل آية : ١٠٧ .

....

نعم إذا عرفت هذه القاعدة وهي معرفة ما يحصل به الإيمان الصحيح فإنه يجب أن تعرف ما يضادها من الأقوال والأفعال ، ومن ذلك الكلام الذي يتكلم به الإنسان وهو من نواقض الإسلام لكنه يمزح به فإنه يكفر ، ولو كان ليس جادا في كلامه ، فالدين ليس فيه مزح ، والدليل على ذلك قصة هؤلاء النفر الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك لغزو الروم لما بلغ الرسول ﷺ أن الروم يجمعون على غزو المسلمين ، فالنبي ﷺ بادر في وقت الحر وشدة القيظ والصيف ووقت طيب الثمار والمسافة بعيدة من المدينة إلى تبوك ، وإن ناسا من الذين خرجوا مع الرسول ﷺ جلسوا في مجلس يمزحون ، قال واحد منهم : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنة ، ولا أجبن عند اللقاء يعنون رسول الله ﷺ وأصحابه ، وكان في المجلس غلام من الأنصار فأنكر عليهم وقال : كذبت ، ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله ، فلما ذهب هذا الفتى ليخبر الرسول ﷺ وجد الوحي قد سبقه ونزل على الرسول ﷺ قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ ﴾ (١) فجاء هؤلاء إلى الرسول ﷺ يعتذرون ويقولون : يا رسول الله ما قصدنا إلا المزح حديث الركب نقطع به عنا الطريق ، ولا يزيد الرسول ﷺ على تلاوة الآية ولا يلتفت إليهم (٢) فإذا كان هؤلاء كفروا بالله وارتدوا وقد كانوا مسلمين من قبل بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب ، فكيف بمن يقول كلام الكفر لا من باب المزح وإنما من باب المحافظة على ماله وعلى جاهه وعلى مكانته ، وهذا شر من المازح لأنه اشترى الحياة الدنيا بالآخرة ! فالحاصل أن الذي يتكلم بكلمة الكفر لا يخلو من خمس حالات :

الحالة الأولى : أن يكون معتقدا ذلك بقلبه فهذا لا شك في كفره .

---

(١) سورة التوبة الآيتان : ٦٥ - ٦٦ .

(٢) (تقدم العزو إليها) .

....

الحالة الثانية : أن لا يكون معتقدا ذلك بقلبه ولم يكره على ذلك ولكن فعله من أجل طمع الدنيا أو مداراة الناس وموافقتهم فهذا كافر بنص الآية ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [1] .

الحالة الثالثة : من فعل الكفر والشرك موافقة لأهله وهو لا يحبه ولا يعتقده بقلبه وإنما فعله شحا ببلده أو ماله أو عشيرته .

الحالة الرابعة : أن يفعل ذلك مازحا ولاعبا كما حصل من النفر المذكورين ، وهذا يكون كافرا بنص الآية الكريمة .

الحالة الخامسة : أن يقول ذلك مكرها لا مختارا وقلبه مطمئن بالإيمان فهذا مرخص له في ذلك دفعا للإكراه ، وأما الأحوال الأربع الماضية فإن صاحبها يكفر كما صرحت به الآيات ، وفي هذا رد على من يقول إن الإنسان لا يحكم عليه بالكفر ولو قال كلمة الكفر أو فعل أفعال الكفر حتى يعلم ما في قلبه وهذا قول باطل مخالف للنصوص وهو قول المرجئة الضلال .

وذكر الشيخ رحمه الله قاعدة عظيمة في الإكراه الذي يعذر به والذي لا يعذر به حيث قال : ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على العمل أو الكلام ، وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

انتهى في **١٤١٨/١١/١٥هـ**

بقلم / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان .

(١) سورة النحل آية : ١٠٧ .

قائمة المصادر والمراجع

ملحوظة : (رتبت هذه القائمة على حسب أسبقية ذكرها في الكتاب) .

- القرآن الكريم
- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- معجم الأعلام للزركلي
- معجم المؤلفين لكحالة
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري
- في زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم
- مسند الإمام أحمد
- سنن أبي داود
- سنن الدارمي
- سنن الترمذي
- القاموس المحيط
- التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد بن عودة السعودي
- مجموع الفتاوي لشيخ الإسلام ابن تيمية
- الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية
- جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير
- أسباب ال ول للواحدي
- لسان العرب لابن منظور
- البداية والنهاية لابن كثير

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

الفهرس